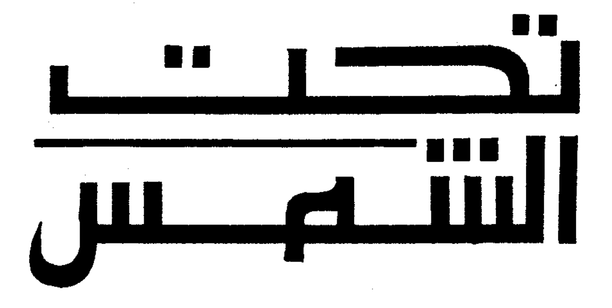
المكتبة الثقافية

-٧-

علي محمد العمير



الناشر
دار العمير
للثقافة والنشر
جدة - ص.ب ٨٩٥٢٠

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ليس عندى الكثير مما أريد قوله كمقدمة لهذا الكتاب !

وكل ما أريد أن أقوله ــ كايضاح لابد منه ــ هو أن مادة هذا الكتاب ليست غير مجموعة مختارة من زاوية (تحت الشمس) التى أكتبها يوميا لجريدة (عكاظ) !

وقد قمت بترتيبها وفقا لأولوية تاريخ النشر ، وليس وفقا لمنهج وحدة الموضوع أو أي منهج آخر !!

وهذه المجموعة هى بالذات مما نشر فى الزاوية المذكورة خلال عام ١٤٠٢ هـ ومعنى ذلك أن هذه المجموعة لا تشكل غير جزء يسير مما نشر فعلا .. ذلك أن ما نشر يتناول شؤونا وشجونا شتى من هموم الناس ومعاناتهم ، ونقدات لأوضاع تزول بزوال وقتها !

ومن هنا .. كان الأصل فى اختيار هذه المجموعة هو أن تكون من الموضوعات غير المقيدة بزمن معين .. أو بحادثة يزول أثرها بزوال وقتها !

وهذا كل ما أردت أن أقوله فى شبه المقدمة هذه .. على أن هناك ما يستحق الذكر ــ ما دام باب القول قد انفتح !! ــ وهو أن الذى شجعني على اختيار هذه المجموعة لجعلها بين دفتي كتاب ، هو ذلك الترحاب والثناء

الذي قوبلتُ به فى زاوية (تحت الشمس) .. ومن منا لا يحب الثناء ؟ (حب الثناء طبيعة الانسان) !!

وذلك هو كل ما فى الأمر !!

١٤٠٣/٣/٧ هـ

علي محمد العمير

حمل المغارم وابتناء المكارم !

أشار أستاذنا الكبير أحمد عبد الغفور عطار فى لمساته بجريدة البلاد إلى جانب مهم جدا من الجوانب التى افتقدتها حياتنا فى خضم الحياة الجديدة التى نعيشها ، والتى استأثرت بكل اهتماماتنا ماعدا الاهتمام بجانب الخير والفضل والمعروف .

لقد ذكر الأستاذ أن امرأة من مكة المكرمة لجأت إليه .. تأمل أن ينهض لمعونتها فى مشكلتها التى ألمح إليها فى مقدمة المقال .. وقال أن الآلام التى يعانى منها من جراء الجلطة التى أصيب بها منذ سنتين ــ عافاه الله ــ تعوقه عن النهوض لمعونة المرأة المذكورة .

ثم أبدى أسفه وحسرته على رجال ذكرهم بالاسم .. كان يقصدهم ذوى الحاجات فيجدون لديهم ما يحقق لهم المأمل .. بيوتهم مفتوحة للناس يحتملون المغارم ، ويسعون للصلح بين الناس ، ويعينون على نوائب الدهر .

وقال لو أن واحد من هؤلاء ــ الذين ذكرهم ــ حيا لكان بعث إليه بتلك المرأة فيكفيه معونتها وقضاء حاجتها .

والواقع أن أستاذنا بمقاله هذا كأنما يردد قول الشاعر :

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم وبقيت فى خلف كجلد الأجرب

أو كما قال الشاعر الذى استشهد به الأستاذ نفسه :

إني لأفتح عينى حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا

أما الرجال من ذوي الأموال والمناصب والجاه العريض فهم كثرة فى مجتمعنا ــ ولله الحمد ــ ولكنهم قد نسوا .. أو نسي أكثرهم أن ضريبة المال أو المنصب أو الجاه .. إنما هى بذل الفضل ، واصطناع المعروف ، ومد يد العون لذوى الحاجات بالمال أو الجاه .

وإلا فما قيمة المال إذا لم يكن عونا على المكارم واحتمال المغارم .. وما قيمة الجاه إذا لم يبذل لاصطناع معروف أو تفريج كربة ؟

ما قيمة المال .. أو ما قيمة الجاه إذا لم يعن صاحبه على المزيد من الفضل والمجد ؟

وقد قيل : « إن المجد هو احتمال المغارم وابتناء المكرم » فأى مجد يمكن أن يحققه صاحب مال أو جاه إذا كان يضن بماله ويبخل بجاهه .. ويسعى إنما يسعى لنفسه ولنفسه فقط !!

وإنا لنحمد الله سبحانه وتعالى أن في مجتمعنا ــ كما ذكرت آنفا ــ الكثير من الرجال من ذوى الأموال والمناصب والجاه . ولكن ــ وأنا هنا التمس لهم العذر ــ شغلتهم كثيرا ظروف الحياة الجديدة وتعقيداتها ومتطلباتها .

وإذا كنت قد التمست لهم بعض العذر فانني في الواقع لا أعفيهم من واجباتهم الأساسية .. تلك الواجبات التى تترتب تلقائيا على كل ذى مال أو منصب أو جاه .

وأبسط تلك الواجبات هي أن يفتح بابه ولو ساعة من ليل وأخرى من نهار ليستقبل ذوى الحاجات ويعمل على مساعدتهم بماله وجاهه حيث لزم ذلك .. فيصطنع المعروف ويعمل الخير ، ووالله لن يزيده ذلك إلا مالا على مال وجاها على جاه .. تتضاعف حسناته ويزداد ثوابه وتطيب بالألسنة ذكره .

وهل يحرص الانسان فى هذه الدنيا إلا على السمعة الطيبة والذكر الحسن .. ولا يكون ذلك إلا بزرع المحبة فى أفئدة الناس ، ولا يمكن أن تزرع المحبة فى أفئدة الناس الأبواب المغلقة والحجاب الغلاظ .. وإنما الأبواب المشرعة ومعايشة الناس ومساعدتهم وعونهم ما أمكن إلى ذلك أي سبيل .

فيا أصحاب الأموال والمناصب والجاه .. لا تجعلونا نردد مع أستاذنا العطار قوله : (تفقدنا الرجال ففقدناهم إلا نادرا) !!

١٤٠٢/٣/١٤

جامعاتنا وأشخاص المديرين

المفروض أن المؤسسات الكبيرة ، وخاصة العلمية منها كالجامعات مثلا .. تملك سياسة عملية مرسومة سلفا ، وخطة مستقبلية محددة الأهداف .. لا يمكن أن تتأثر بذهاب مدير أو قدوم آخر !!

فالجامعة مثلا ــ أية جامعة ــ لها مجلس أعلى يرسم خطتها ويحدد أهدافها .. ولا يكون المدير وأركان إدارته غير هيئة تنفيذية لوضع الخطط المحددة موضع التنفيذ !

ذلك هو المفروض ــ فى تصورى على الأقل ــ ولكن الواقع يختلف عن ذلك .. فشخصية الرئيس أو المدير فى الجامعة كثيرا ما تؤثر تأثيرا كبيرا سلبا أو إيجابا على سير العمل وخطته وأهدافه .. فالجامعة الفلانية فى عهد المدير الفلانى، كانت أكثر تفاعلا وحيوية مع خطتها وأهدافها .

أما في عهد المدير الفلاني فهى أكثر انزواء وتقوقعا وانكماشا !!

وما يقال عن الجامعات ــ فى هذا المجال ــ يقال عن مؤسساتنا الكبيرة الأخرى .. وإنما اخترت الاشارة إلى الجامعات بالذات لأن وجود أي سلبيات فيها ــ لا سمح الله ــ لابد أن تنعكس آثارها على صميم المجتمع .. وكذلك الايجابيات ، ولأن الجامعات بالذات ــ وهى صروحنا العلمية ــ ينبغي أن تكون المثل الأعلى ، والقدوة الحسنة للمؤسسات الأخرى .

وأنا هنا لا أقصد جامعة بذاتها ة أو مديرا بذاته وإنما أقصد المبدأ من حيث هو :

وكمثال على ذلك ، ما نعرفه جميعا من أن أحد أهم أهداف الجامعات .. هو تفاعل الجامعة ــ أية جامعة ــ مع المجتمع المحيط بها تفاعلا إيجابيا .. يبعدها عن أن تكون مجرد مدرسة لتلقين الطلاب ما هو موجود فى مقرراتهم !

ولاشك أن المجلس الأعلى للجامعات قد رسم ــ أو هكذا يفترض ــ الخطة المثلى لكل جامعة لتحقيق هذا الهدف أو غيره من الأهداف الجامعية الأخرى !

ولاشك أيضا أن المجلس الأعلى للجامعات يتابع ــ أو هكذا يفترض أيضا ــ مدى الخطوات التى تخطوها كل جامعة نحو أي هدف من أهدافها .. والمفروض ــ مع كل هذا ــ أن لا تتأثر المسيرة أبدا بسبب ذهاب مدير أو قدوم آخر .. أو حتى لأي سبب من الأسباب الأخرى .. لأن وضع أية خطة يفترض أو يتوقع أصلا مختلف المعوقات التى يمكن أن تعترض هذه المسيرة .. ومن ثم يتفاداها سلفا أو لاحقا بمجرد حدوثها !

ولكن الواقع الملموس ــ رغم كل هذا ــ هو أن جامعاتنا أو بعضها على الأقل تتأثر بشكل أو بآخر بشخصية المدير وبأسلوبه في الادارة وينعكس هذا التأثر .. ويمتد على طول المسار !!

وقد ذكرنا قبل قليل موضوع تفاعل الجامعة مع المجتمع المحيط بها كواحد من أهم أهداف الجامعة !

هذا الهدف نفسه ــ لو اتخذناه مثلا لما نحن بصدده ــ لوجدنا العمل على تحقيقه يصعد أو يهبط في عهد هذا المدير أو ذاك !!

ولا أعتقد أننا في حاجة إلى الأمثلة فى هذا المجال .. فهذه المسألة من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى ذلك .. وحتى لو احتاجت .. فان ضرب الأمثلة في هذا الموضوع يجر حتما إلى الاساءة الشخصية التى نربأ بأقلامنا عنها !

ويكفى هنا اننى أظن شخصيا — ولست على يقين — أن معالي الشيخ حسن آل الشيخ وزير التعليم العالي ، يشاركنى هذا الرأي بصورة أو بأخرى .. بقدر كبير أو بقدر أدنى .. فاذا كان الأمر كما أظن — أي أنه يشاركني الرأي بالفعل في هذا الذي ذهبت إليه — فهو الرجل المسئول الأول في هذا المجال ، ويستطيع العمل على تصحيح أي وضع في جامعاتنا ، وهو يعمل من أجل ذلك بالفعل ، وبكل جدارة واقتدار .. ولكن لا يوجد الخلل إلا حيث يوجد العمل .. ثم لا يرجم إلا مثمر الشجر كما يقول الشاعر ..

وفضلا عن ذلك فأنا هنا لست ناقدا .. وإنما هى ملاحظة عنت لى فأبديتها .. والله من وراء القصد .

٢٥/٣/١٤٠٢ هـ

دعم دور النشر بالمملكة

لا أعتقد أن كوني أصبحت حديثا من أصحاب دور النشر ، يمنع أن أتطرق إلى الكتابة عن دور النشر في بلادنا والمسؤوليات الملقاة على عواتقها .. وواجبات الدولة نحوها .. فان كوني صاحب دار نشر لا يجعل موضوعي هذا خاصا بالضرورة !؟

فهناك الكثير من دور النشر السعودية ــ غير داري المتواضعة الناشئة ــ تضطلع بدور مهم جدا فى نشر الثقافة فى بلادنا .

ولقد كان مجرد وجود مثل هذه الدور يعتبر أمنية كبيرة وحلما ضخما من أماني وأحلام الأدباء والعلماء والمثقفين في بلادنا.

ذلك لأن دور النشر هذه هي الوسيلة المثلى لنشر الكتاب السعودى والاسهام في مجال النهضة الثقافية .. وجعل الثقافة مواكبة لمختلف جوانب التطور والنهضة التى تعيشها بلادنا في مجالات شتى .

ونحمد الله أن الأمنية أصبحت حقيقة .. وأن الحلم أصبح واقعا بوجود العديد من دور النشر الأهلية في المملكة .. بالاضافة إلى جمعية الثقافة والفنون ، والأندية الأدبية في مختلف مناطق المملكة .. وبالاضافة أيضا إلى المؤسسات الصحفية التي تصدر الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية ، وبالاضافة أيضا وأيضا إلى المجلات الشهرية التي يملكها بعض كبار أدبائنا .

وهذه الجهات تتضافر وتنبع وتصب فى مسيل واحد .. وتسير جميعها نحو هدف واحد هو نشر الثقافة والمعرفة بين صفوف المواطنين وغير المواطنين في ربوع بلادنا الحبيبة .

ومما يدل على أهمية وخطورة دور النشر الأهلية التى نحن بصدد الحديث عنها بالذات أن الجهات المسؤولة لا تمنح امتيازها لكل من هب ودب .. بل تشترط هذه الجهات نوعية خاصة من المواطنين المؤهلين ثقافيا لكى تمنحهم هذا الامتياز ، وتحملهم مسؤولية وتبعة الاسهام فى نشر الثقافة بالشكل السليم والصورة الصحيحة .

وكل هذا سليم تماما ، ومعروف لدى الجميع !

ولكن ما هو غير سليم .. ولا هو بالمعروفة أسبابه .. أن جميع الجهات التى ذكرناها آنفا والتي تشاركها دور النشر الأهلية في مسؤولية نشر الثقافة .. جميع تلك الجهات إما حكومية صرفة مثل جمعية الفنون والثقافة ، ومثل الأندية الأدبية حيث تتكون مواردها السنوية بصفة ثابتة من الرئاسة العامة لرعاية الشباب .. وإما مؤسسات أهلية مثل المؤسسات الصحفية .. وإما مجلات شهرية أو فصلية يملكها أفراد من الأدباء .. ولكن جميع هذه المؤسسات الصحفية والمجلات تتلقى تشجيعا ودعما ماديا سنويا — قل أو كثر — من قبل الحكومة !

أما دور النشر — وهنا موطن العجب — فهى وحدها التى لا تتلقى أى تشجيع أو دعم من قبل الحكومة .. رغم أن مسؤولياتها ومهماتها لا تقل بأي حال من الأحوال عن مسؤوليات ومهمات جعية الثقافة والفنون أو الأندية الأدبية أو المؤسسات الصحفية أو المجلات الشهرية والفصلية .. وذلك — على أقل تقدير — من حيث المبدأ ووحدة الاتجاه والمسيرة والمسؤولية !!

فهل لنا أن نطمع في أن تلقى الجهات[1] الحكومية المختصة نظرة حادبة على هذا الموضوع إن لم يكن من قبيل الانصاف .. فمن قبيل المواساة على أقل تقدير ؟!!

٥/٤/١٤٠٢ هـ

---

(١) صدر بعد ذلك نظام السياسة الاعلامية للمملكة وفيه أكثر من مادة تنص على وجوب مثل هذا الدعم .

ضرورة وجود المكتبات العامة

لا أظنني بحاجة إلى إيضاح مدى أهمية وضرورة المكتبات العامة في كل مدينة .. بل وفي كل حي وقرية من مدننا وأحيائنا وقرانا !!

ذلك لأن أهمية وضرورة وجود المكتبات العامة لا يحتاج إلى إيضاح أو تدليل أو ضرب الأمثلة .. فهي مسألة لا يختلف اثنان على مدى أهميتها وضرورتها بالنسبة لكل مجتمع !!!

وأكثرنا يعلم أن عددا من الدول المتقدمة لا تكتفي فقط بايجاد أمثال هذه المكتبات العامة في المدن والأحياء والضواحي والقرى .. بل تقوم أيضا بتأمين مكتبات عامة سيارة أو متنقلة !!

أجل .. أجل .. إلى هذا الحد يعملون على تنمية الثقافة في مجتمعاتهم المثقفة والمتقدمة أصلا .. فكيف بنا نحن هنا فى المملكة أو في سائر الدول النامية أو المتخلفة بالأصح .. ألسنا أحوج من أولئك القوم إلي غرس الثقافة وتنميتها بين مجتمعاتنا بمختلف الوسائل والسبل .. ومن ضمن أهم هذه الوسائل والسبل هو وجود المكتبات العامة في كل تجمع سكاني ..

بل إننا هنا في المملكة قد وضعنا هدفا من أهم أهداف الخطة الثالثة هو تنمية الانسان السعودى نفسه .. والتنمية هنا تعني الكثير من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية .. الخ .. الخ .

بل إنني أذكر ــ إن لم تخني الذاكرة ــ أن التركيز على توفير المكتبات العامة قد وجد بالفعل في خطة التنمية الثانية أو الثالثة ــ لا أذكر بالضبط ــ وحتى إن كانت قد خانتني الذاكرة فان المفروض أن يكون الأمر

كذلك بالفعل .. وخاصة مع ما أشرنا إليه من أن الخطة الثالثة قد جعلت من أهم أهدافها تنمية الانسان السعودى .. ولاشك أن توفر المكتبات العامة من أهم وسائل تنمية الإنسان ثقافيا !!

ولدينا — بحمد الله — الكثير من الجهات الحكومية المختصة بالشئون الثقافية : وزارة التعليم العالي ، وزارة المعارف ، الرئاسة العامة لرعاية الشباب بجمعيتها الثقافية والفنية ، وأنديتها الأدبية إلى غير ذلك من الجهات المنوطة بشئون الثقافة بشكل أو بآخر .

فلو تضافرت جهود هذه الجهات مجتمعة لكان من اليسير العمل على توفير المكتبات العامة بأقصى قدر ممكن من التوفير !!

ولكن المشكلة أن كل جهة تعمل مستقلة عن الأخرى بحكم اختصاصاتها الأخرى فى غير الشئون الثقافية مما يجعل جهود كل هذه الجهات — بالنسبة للشئون الثقافية — مبعثرة وغير محققة تماما لأهدافها !!

ولكن لو أمكن تضافر وتوحيد هذه الجهود فى المجال الثقافى — بصفة خاصة — لأمكن لهذه الجهات مجتمعة أن تعمل الشيء الكثير من أجل الثقافة فى بلادنا !!

وإذن فالمطلوب هو من اليسر والسهولة بمكان وهو مجرد تضافر وتوحيد هذه الجهود .. أو إيجاد وزارة خاصة بالثقافة تكون من ضمن مهامها مسألة توفير المكتبات العامة فى كل مكان يحتاج إليها في المدينة أو الحي أو القرية !!

وهذا المطلب ليس من العسير الباهظ توفيره .. فان الاعتماد الذي يمكن أن يكفى لايجاد هذه المكتبات العامة ربما لا يساوى اعتماد صيانة وطلاء أعمدة الاضاءة فى شوارع كل مدينة .. أو اعتماد صيانة مواسير المجارى أو نحو ذلك من الاعتمادات مع الفارق الكبير بين اعتماد مهما كان قدره يوضع من أجل الثقافة .. وبين أي اعتماد من أجل أي شأن آخر !!

٨/٩/١٤٠٢ هـ

بين الكتاب وقرائهم

○○ الكاتب ــ أي كاتب ــ مع قرائه بين ثلاثة أمور .. تحاصره من كل جانب .. الرضا .. أو السخط .. أو اللامبالاة أصلا .

فأما الرضا فلا يحصل إلا من قلة قليلة من المحبين والأصدقاء والعالمين ببواطن الأمور .. وهم ــ مع ذلك ــ يتوقعون من كاتبهم ما هو أفضل وأفضل وينتظرون منه معالجة موضوعات أهم من الموضوعات التى يعالجها بالفعل .. وربما اقترحوا عليه معالجة موضوعات بعينها .. ولكنهم ــ على كل حال وبدافع من عين الرضا ــ يتغاضون عن الأشياء غير المهمة ــ حتى لا نقول التافهة ــ التى يعالجها أحيانا .. أو يجعل منها محوراً لكتاباته !!

تلك هي حالة الكاتب مع القلة القليلة من قرائه الذين يتمتع برضاهم عنه ، وهي حالة قلقة وغير مطمئنة !!

أما أولئك الساخطين دائما .. فهم فئة من القراء (لا يعجبهم العجب ولا الصيام في رجب) .. تجدهم دائما على استعداد لابداء سخطهم على جميع الموضوعات .. جميعها عندهم (هايفة) ولا تستحق !!

وهؤلاء أيضا ــ بحمد الله ــ قلة قليلة من الناس .. لابد من وجودها لحفظ التوازن بينها وبين الفئة السابقة مثلا !!

أما الغالبية العظمى .. أو الفريق الأكبر من القراء .. فهم الذين لا يبالون أحسنَ الكاتب أم أساء .. ومطالعاتهم للموضوعات المنشورة فى الصحف تكون عادة من طرف العين .. ولا يهتز هذا الطرف أبداً لإحسان أو إساءة .

والكتاب المساكين أمثالي لا يملكون ضرا ولا نفعا إزاء كل ذلك .. لا يملكون حتى أن يتمثلوا بقول الشاعر :

إذا أنت لم تنفع فضر فانما يرجّى الفتى كيما يضر وينفع

ولكن هذا الفتى من الكتاب لا يملك ــ كما قلت ــ ضرّاً ولا نفعا إزاء كل ذلك .. فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وبقيت هناك ناحية رابعة لم نذكرها ــ كأنه لابد أن يكون الحصار من كل جانب ــ وهي علاقة الكتاب برؤساء تحرير الصحف وبالمسؤولين عن التحرير ورجال التصحيح .. وهي علاقة ــ رغم جانب الصداقة ــ أشبه ما تكون بعلاقة القط والفأر ؟!!

وبطبيعة الحال فان الكاتب المسكين هو الفأر المذعور دائما وأبدا .

وبعد كل هذه المعاناة التى يعانيها الكتاب .. فضلا عن الهرش الدائم لرؤوسهم بحثا عن فكرة .. لا يجدون من يواسيهم أو يسليهم أو يتوجع لهم .. أو يقول لهم ــ على الأقل ــ والله كتر خيركم .. فياكتاب العالم اتحدوا ؟!!

١٣/٤/١٤٠٢ هـ

بنو أنف الناقة

لاشك أننا أمة عربية شديدة التأثر بالكلمة .. فقد كان بيتا من الشعر ــ في أيام الجاهلية ــ يمكن أن يرفع شخصا .. أو يخفضه .. بل يمكن لهذا البيت من الشعر أن يخفض قبيلة بأسرها أو يرفعها .. كما حصل مثلا للنميريين مع البيت المشهور :

فغض الطرف إنك من نمير   فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فانها لم تقم لهم قائمة بعد هذا البيت !!

وعلى العكس من ذلك (بنو أنف الناقة) فقد رفعهم البيت الذى مطلعه :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم   ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا

كان هذا في عصر الجاهلية .. ثم في كثير من العصور .. ولكن المفروض أننا الآن في القرن العشرين الذي لا يمكن فيه لألف بيت من الشعر أن يخفض إنسانا أو يرفعه .. فضلا عن قبيلة بأسرها !!

ذلك هو شأن الشعر .. أما النثر فمن باب أولى !!

ورغم ذلك فاننا ــ نحن عباد الله ــ من كتاب الزوايا اليومية أو غير اليومية في الصحف بحكم اضطرارنا إلى تناول موضوعات قد لا تخلو من نقد أو ملاحظة على جهة ما .. فاذا ببعض الجهات لا تجد فرصة للدفاع عن نفسها إلا بالرد العنيف ، وعن طريق التذكير بالأنظمة وما شابه ذلك من تهديد ووعيد !!

وكان الأحرى بتلك الجهة ــ وبكل بساطة ــ هو أن تتقبل النقد أو الملاحظة بكل رحابة صدر .. فاذا كان ما قيل حقا أمكن العمل على تفاديه أو تلافيه ..

وأما إذا كان ما قيل باطلا .. أو حتى مغرضا ــ لا سمح الله ــ فيكتفى بالرد الموضوعى المدعم بالحقائق والأرقام .. وفي ذلك كل الكفاية !! مع افتراض حسن النية على كل حال !!

ولكن المشكلة أن بعض المسئولين فى جهاز ما يعتبرون أي نقد أو ملاحظة على الجهة المناطة مسئولياتها بهم .. نقدا أو ملاحظة تخصهم شخصيا .. أو تتهمهم ــ لا سمح الله ــ بالتقصير رغم أن ذلك غير وارد في المفهوم الصحيح لما تنشره الصحف !!

ولو أن كل جهة .. تتعامل مع الكلمة المنشورة بافتراض حسن النية الذى هو الأساس لما طالعنا شيئا من تلك الردود (العنيفة) التى تنشر فى بعض صحفنا من بعض الجهات .

وقد قيل : (لو أنصف الناس لاستراح القاضى) !!

ونحن نقول : لو انصفت الجهات موضع النقد أو الملاحظة لاستراح الكاتب .. وانقطع رزق الصحف !!

١٤٠٢/٤/١٥ هـ

عبد الرحمن الرفاعي

هناك فكرة قائمة عند كثير من الناس ـــ وربما شخصي الضعيف منهم ـــ وهي أنه لا يعتبر أديبا بحق من لم يكتب في الصحف أو المجلات !!

ومن هنا فاننا نعتبر الأدباء في المملكة .. هم فقط أولئك الذين تظهر أسماؤهم وتنشر صورهم باستمرار على أعمدة الصحف والمجلات !

وهي فكرة خاطئة ـــ لاشك في ذلك ـــ حيث في المملكة عدد غير قليل من الأدباء الممتازين قد عزفوا عن النشر .. أو لم تتح لهم الظروف المناسبة لذلك .. أو غير هذا وذاك من الأسباب !!

خطر كل هذا في بالي .. وأنا استلم نسخة من كتاب الصديق الأستاذ عبد الرحمن الرفاعي (الحميني .. الحلقة المفقودة في امتداد عربية الموشح الأندلسي) ..

وهذا الكتاب ـــ على ما أذكر ـــ كان في الأصل محاضرة ألقاها المؤلف منذ سنوات في النادي الأدبي بجيزان وكنت أحد الحاضرين ، أو السامعين .

ثم توسع المؤلف بعد ذلك في موضوع هذه المحاضرة حتى جعل منها بحثا شاملا فى كتاب بأكمله ٢٢٤ صفحةمن القطع المتوسط .. وصدر مؤخرا عن النادي الأدبي بجيزان ولست الآن بصدد الحديث عن هذا الكتاب فلذلك مقام آخر إن شاء الله .

وإنما أنا هنا بصدد الحديث عن الأستاذ عبد الرحمن الرفاعي نفسه .. فهو شاب طلعة بحق وحقيق .. لم يكتف بشهادة الجامعة التى تخرج منها (ليسانس فى اللغة العربية وآدابها) بل عكف على أمهات الكتب والدراسات ..

وظل ينهل منها .. وينهل .. ومازال .. ولم يتطلع إلى النشر أو يقفز إلى دائرة الضوء كما فعل ويفعل من هو أقل شأنا منه بكثير !!

أما الآن — وفي الوقت المناسب — فقد طلع على القراء بكتابه هذا الذي لا أشك أنه قد بذل فيه جهدا وافرا .. تسنده حصيلة ثقافية جيدة ، ولماحية ذهنية متوقدة .. ثم حماس الشباب المتطلع الطموح !!

عبد الرحمن الرفاعي هذا .. أحد الأمثلة لأولئك الأدباء الذين أشرت إليهم في مطلع هذه الكلمة .. لم يسع إلى الشهرة عن طريق الصحف والمجلات .. ولكن ذلك لم ينف عنه كونه أديبا من رأسه إلى أخمصه !!

وإذا كانت باكورة إنتاجه .. كتابه المشار إليه آنفا ، على هذا المستوى المشرف من البحث والدراسة والتنقيب .. فلاشك أن الشهرة ستأتيه منقادة (تجرر أذيالها) — كما يقول الشاعر — اننى لا أملك غير تهنئته .. بل وتهنئة نفسى أيضا به .. فقد توقعت له هذا المستقبل الأدبى منذ زمن كان فيه مجرد طالب .. شأنه شأن آلاف الطلبة الذين يدرسون .. ثم يتخرجون .. ثم لاشيء !!

ولايسعني الآن غير الاعتزاز بشاب من بلدي في طريقه الصحيح إلى نبوغ باهر .. إنه عبد الرحمن الرفاعي !!

٢٧/٤/١٣٤٠٢ هـ

الموسيقى والغناء والطرب

زاويتنا اليوم عن (الموسيقى والغناء والطرب) .. وأمرنا إلى الله .. وليسامحنا من قد يرى فى ذلك أي مأخذ !!

قرأت قبل أيام قصة لطيفة ملخصها أن أحدهم — في الزمن الغابر — قد فقد حماره فبحث عنه حتى أعياه البحث .. وحتى وصل أخيرا إلى قرية من القرى يسأل أهلها عن حماره .. فما كان من أحدهم — في تلك القرية — إلا أن اعتلى المنبر وسأل من كان فيكم أيها القوم يعلم شيئا عن حمار هذا الرجل فليرفع يده .. فلم يرفع أي واحد منهم يده .. فما كان من الرجل إلا أن سأل مرة أخرى : من منكم أيها القوم لا يحب الغناء والطرب فليقف .. فلم يقف من ذلك الجمع الحاشد غير اثنين فقط فسأل الرجل صاحب الحمار : أيهما حمارك ؟!

وأنا هنا أبادر فأؤكد انني — أحيانا على الأقل — أحب الموسيقى والغناء والطرب بالقدر الذى لا يمكن أن أكون معه حمار ذلك الرجل !!

وأنا — ياسادتي — أسمع أحيانا الموسيقى والغناء والطرب فأُحس بالشجن أو اللوعة أو السرور والفرح !!

ولكنني في الآونة الأخيرة .. لست أدري هل قلّ ميلي المتواضع إلى الموسيقى والغناء والطرب .. أم أن ماتبثه وسائل الاعلام وما تسجله الأشرطة باسم الموسيقى والغناء والطرب ليس من ذلك في شيء على الاطلاق .. بل هو الصوت النشاز ، والرنين الطنان الذي يخترق طبلة الأذن .. ثم السماجة البالغة القمة في تمطيط الكلمات وتدويرها في الحناجر .. بل السماجة كل السماجة في الكلمات المختارة لهذه الأغاني أصلا .

وإذا شئتم المثل الصارخ على ذلك فليغامر أحدكم بركوب (تاكسي) في الرياض أو جدة مثلا .. فاذا لم يذهب ــ بعد ذلك ــ إلى طبيب أذن فأنا على غير حق !!

ولكنني على حق كما يعلم الله .. بل انني أعتقد أن هناك علاقة وطيدة بين كثير مما يسمى بموسيقى أو طرب أو غناء هذه الأيام وبين كثرة وانتشار عيادات الأذن .. بل وربما هناك علاقة وطيدة أيضا .. بين موسيقى وطرب وغناء هذه الأيام وبين اختفاء عربات (الكارو) من الشوارع !!

وقد أكون مخطئا في تقديري هذا .. أو ربما أصبحت متخلف الادراك والذوق .. ولكن أذني .. أذني .. هل تنسحب عليها إمكانية التخلف ؟! ربما ؟ من يدري؟!

ولكن أحد أطباء الأذن ــ وهو صديقي ــ أكد لي مؤخرا أن أذني اليمنى وكذلك اليسرى ماتزال كل منهما بخير .. ولم يكتب لي أي علاج .. بل نصحني فقط بالحمية .. أقصد منعني من سماع موسيقى وطرب وغناء هذه الأيام !!

وإذا لم تصدقوني أنا .. فاسألوا الطبيب .. ولا يمكن أن يكون كاذبا في هذه الناحية بالذات لأنها مصدر رزقه !!

٢٨/٤/١٤٠٢ هـ

حركة الترجمة

لست أعرف شيئا تماما عن الأسباب والعوامل التى تؤثر على حركة الترجمة في عالمنا العربى سلبا أو إيجابا .. أو وجودا وعدما ؟

هل هو قانون العرض والطلب في الأسواق مثلا ؟

أم هو المزاج ليس إلا ؟!

أم هو شيء غير هذا وذاك ؟

ولكن الذي أعرفه — بعض معرفة — أن الترجمة من اللغات العالمية الحية في عالم الفكر والأدب قد ازدهرت في أوائل اليقظة العربية الحديثة في مصر — ودعك من العصر الأموي الغابر — فترجمت ونشرت الكثير جدا من الكتب في شتى مجالات العلوم والآداب والفنون .. وكسبت المكتبة العربية من ذلك الشيء الكثير !!

ثم بعد ذلك ، انتقلت حركة النشر نفسها من مصر إلى لبنان .. فأصبحت بيروت منذ الستينات تقريبا هي عاصمة النشر في العالم العربي بعد أن كانت القاهرة هي العاصمة العتيدة !!

وبانتقال حركة النشر إلى بيروت .. انتقلت معها أيضا حركة الترجمة فشهدنا فى الستينات وأوائل السبعينات سيلا من القصص العالمي المترجم إلى لغتنا العربية .. بل وشهدنا سيلا من الكتب المترجمة في شتي المجالات !!

ثم فجأة — ولسنا ندري لماذا ؟ — توقفت هذه الحركة أو كادت أن تتوقف نهائيا .

وفي يقيني أنه لا شأن للأحداث اللبنانية[1] بهذا التوقف أو الشلل المفاجىء الذى أصيبت به حركة الترجمة .. ذلك أن الأحداث اللبنانية تسببت حقا في شل حركة الكثير من لأعمال .. ولكن حركة النشر بالذات لم تتأثر كثيرا بهذه الأحداث بدليل أن دور النشر اللبنانية مازالت مزدهرة .. ومازالت تصدر كل عام قدرا وافرا من الكتب الجديدة والقديمة .

فما بال حركة الترجمة .. وماذا أصابها ؟

في يقينى أيضا أنه لا شأن لقانون العرض والطلب في الأسواق الذى أشرنا إليه فى صدر كلمتنا هذه بدليل أن دور النشر اللبنانية مازالت تكرر نشر الكتب المترجمة سابقا .. وأن سوقها مازال رائجا رغم تكرار طبعها عدة مرات !!

وبذلك تكون أهم الأسباب الأكثر تأثيرا في مجال حركة الترجمة أو عدمها غير موجودة .. ولابد أن هناك أسبابا أخرى غير الأسباب الطبيعية للشلل المفاجىء الذى أصيبت به حركة الترجمة .

إن الترجمة من اللغات الحية إلى أية لغة فى العالم .. هي دليل على المستوى الحضارى التى وصلت إليه تلك اللغة .

وتوقف حركة الترجمة في لغتنا .. يدل على وجود خلل ما في مستوانا الحضاري نفسه !!

١٩/٤/١٤٠٢ هـ

---

(١) المقصود بالأحداث اللبنانية .. تلك الفتنة الطائفية والحروب الأهلية .. ثم الغزو الاسرائيلي بعد ذلك .

هدية المحبين .. مسواك !

كنت أقول دائما .. وما أزال أكرر القول ــ لأولئك الذين يسخرون من بعض الصور أو الملامح الموجودة في أدبنا القديم .. ويتهكمون على ما في بعض تلك الصور أو الملامح من سذاجة وبراءة .. أو خبث وسوء نية .. أو ما بين هذا وذاك من بواعث السخرية والتهكم .

كنت أقول لهؤلاء دائما .. أنه لا ينبغي لنا الآن ــ بأي حال من الأحوال ــ أن نخضع النصوص الأدبية القديمة لمفاهيمنا ومقاييسنا الحديثة .. لأن ذلك دون شك هو السبب في بواعث السخرية والتهكم .

ولو نظرنا إلى كل نص قديم على ضوء تصورنا لطبيعة عصره الذى قيل فيه لما وجدنا فى ذلك أي باعث على سخرية أو تهكم !!

اقرأوا معى ــ مثلا ــ هذا البيت القديم من الشعر :

تخيرت من نعمان عود أراكة   لهند ولكن من يبلّغه هندا

لاشك أن هذه الصورة ــ بمقياس عصرها طبعا ــ صورة في غاية الجمال والروعة والرقة .. فالشاعر قد مرّ بوادي نعمان فوجد شجر الأراك الذى يتخذ منه السواك ، وهو شجر لا يوجد في كل مكان فتذكر الشاعر حبيبته فانثنى يختار لها عوداً للسواك ــ تأملوا معنى الاختيار وخاصة مع كثرة أعواد الأراك في أيكها ــ ولكنه بعد الأخذ والتدقيق في الاختيار .. تذكر أن المشكلة لا تكمن في حسن الاختيار فحسب .. بل من عساه يوصل هذا العود المختار إلى حبيبته ، ولعلها كانت بعيدة الديار .. أو أنه لا يستطيع مقابلتها بنفسه لسبب أو لآخر ..

وتلك ــ على ما ترون ــ صورة رقيقة فياضة المشاعر .. ولكن لو أردنا أن نخضع هذا البيت من الشعر القديم لمفاهيمنا ومقاييسنا الحالية لكان في ذلك أكبر قدر من بواعث السخرية والتهكم على هذا المعنى الساذج القليل الذوق .. ذلك لأنه لا يمكننا أن نتصور الآن عاشقا يمكن أن يفكر في إهداء حبيبته (فرشة أسنان) لأن معنى ذلك ــ بمفاهيمنا الآن ــ أن تلك المحبوبة لا تعتني بنظافة أسنانها بما فيه الكفاية .. أو أنه تنبعث من فمها رائحة غير محببة فكأنه يقول لها ذلك أو نحوه صراحة عندما يهديها (فرشة أسنان) !!

أما تلك الحيرة التى أبداها الشاعر نحو صعوبة إيصال عود الأراك لمحبوبته .. فهي مسألة لا أهمية لها على الاطلاق فى عصرنا فضلا عن كونها يمكن أن تبعث شاعرية رقيقة كما هو الشأن بالنسبة لشاعرنا القديم هذا ..

وقديما قيل : (الهدية على قدر مهديها) وكان يكفي لذلك العاشق الشاعر القديم أن يكون قدره كبير جدا عند محبوبته لمجرد تذكره إياها عندما شاهد شجر الأراك في نعمان !!!

أما الآن فنحن نقول أن الهدية تعبر عن ذوق صاحبها .. وأي ذوق يمكن أن يكون ــ بهذا المفهوم ــ في إهداء عود أراك .. أو فرشة أسنان ؟!!

لاشك أن لكل زمان مفهومه وذوقه وظروفه .. فيا أيها الأدباء .. يا من تسخرون من أدبكم أو تراثكم لحساب (تفرنجكم) .. يجب أن تدركوا ــ على الأقل ــ أبسط مناهج النقد وهي النظر إلى عصر النص وظروفه وبيئته !!

٨/٥/١٤٠٢ هـ

الإصدارات الأدبية الجديدة

وأنا هنا أتحدث عن الاصدارات الأدبية الجديدة التي تصدر عن الأندية الأدبية في مختلف مناطق المملكة ، وذلك على أساس أن اصدارات هذه الأندية لا تتوخى أصلا الربح أو التجارة أو مراعاة السوق كما هو الشأن بالنسبة لدور النشر الأهلية ــ مثلا ــ وعلى أساس أن هذه الأندية قد وجدت أصلا لدعم الحركة الأدبية وتنشيطها ، وليس مثل ذلك من المهام الأساسية لدور النشر الأهلية .

ورغم هذه الفوارق الجوهرية ، وغيرها مما لم أذكر بين الأندية الأدبية التي تنفق عليها الحكومة ، وبين دور النشر الأهلية التى تنفق على نفسها .. نجد فارقا كبيرا لا يكاد يخفى بين نوعية الاصدارات التى تصدر عن الأندية الأدبية .. وبين الاصدارات التي تصدر عن دور النشر الأهلية .

ولا أريد هنا الحديث عن هذه الفوارق .. وإنما أصب حديثي على اصدارات الأندية الأدبية بالذات إذ المفروض أن أعضاء النادي الأدبي في كل منطقة هم خلاصة أو صفوة الأدباء في تلك المنطقة .. وبالتالي فان ما يصدر عن هذا النادى أو ذاك يجب أن يكون صورة متقاربة مع المستوى الأدبي لأدباء تلك المنطقة .. وعلى هذا تشكل اصدارات الأندية الأدبية في مجموعها ــ كما هو مفروض ــ صورة عن المستوى الأدبي في المملكة بصفة عامة !!

ولكن نظرة واحدة إلى كل هذه الاصدارات أو معظمها ــ على الأقل ــ تثبت لنا بما لا يدع مجالا للشك أنها بعيدة كل البعد عن مستوانا الأدبي الحقيقي !!

ولعل السبب في ذلك أن الأندية الأدبية عند نشوئها قد دفعها الحماس إلى كمية الاصدارات دون النظر إلى نوعها .. وربما ــ وهذا سبب آخر مهم ــ أن الأندية الأدبية لها ميزانية خاصة مقيدة الصرف بمواعيد معينة من كل سنة .. ولابد أن تصرف ميزانية كل سنة أولا بأول وإلا اعتبر النادي مقصرا .. أو تسبب بنفسه ــ عبر عدم الصرف ــ في خفض ميزانيته للسنة القادمة .. ولابد أن هذا السبب قد جعل الأندية تنظر ــ مرة أخرى ــ إلى كمية الاصدارات وليس إلى نوعها !

ومن هنا ــ وغير هنا !! ــ كثرت الاصدارات الغثة الهزيلة التي تصدر عن الأندية الأدبية إلى حد أن ذلك أصبح سببا مهما في عزوف الأدباء المجيدين عن نشر مؤلفاتهم ضمن اصدارات الأندية الأدبية .. بل أن بعض أعضاء النوادى أنفسهم يصدرون مؤلفاتهم بأنفسهم أو عن طريق دور نشر محترمة .. وهذا أمر ثابت .. وهو بالتالى يثبت ما ذهبنا إليه من عزوف الأدباء المجيدين عن المشاركة في اصدارات الأندية الأدبية .. اللهم إلا ما ندر !!

وهذا هو بالذات ما جعلنا نقول أن اصدارات الأندية الأدبية في المملكة لا تمثل أدبنا تمثيلا صحيحا أو قريبا من الصحة .. وهذا أيضا ما يجعلنا نقول أن الأندية الأدبية في حاجة ماسة إلى إعادة النظر في أوضاعها .. وليكن ذلك مثلا عن طريق مؤتمر عام للأدباء في المملكة تنظمه رعاية الشباب أو إحدى جامعاتنا .. وتنبثق عنه اللجان المتخصصة للنظر في كافة الأوضاع الأدبية ، وما يجب أن تضطلع به الأندية فى مختلف المناطق .

١١/٥/١٤٠٢ هـ

جحا .. أولى بلحم ثوره !

•• فكرة عكاظ بشأن تكريم أوائل الطلبة .. وما أعلنته عن مساهمة عدد من الشركات والمؤسسات الوطنية فى التبرع بالجوائز التى بلغ مجموعها أكثر من مليونى ريال — لا أذكر الرقم بالضبط — ومعروف أن الشركات والمؤسسات لا تتبرع فى مثل هذا المجال لوجه الله تعالى .. بل كمجرد نوع من أنواع الدعاية والاعلان كما هو معروف !!

وليس هذا هو موضوع حديثنا ، وإنما هي جملة معترضة .. أو هو أسلوب الاستطراد الذى يلاحقني !!

أما الحديث فهو أصلا عن فكرة عكاظ بتكريم أوائل الطلبة وحشد الجهود ، والحصول على المبالغ اللازمة للجوائز ونفقات الاحتفال والدعوات .. وكل ذلك جميل جدا .. ولاشك أن المتفوقين من أبنائنا يستحقون كل تشجيع ورعاية وعناية وتكريم .

ولو كانت مثل هذه الفكرة قد تبنتها وزارة التعليم العالى أو وزارة المعارف أو إحدى جامعاتنا .. أو أية جهة ذات علاقة بالطلاب ، ويلزمها تشجيعهم ورعايتهم وتكريمهم .

لو كانت هذه الفكرة من إحدى هذه الجهات لكانت معقولة جدا وفى مكانها تماما .. سواء أنفق عليها من مال الدولة أو من التبرعات .. وإن كانت مثل هذه الجهات لن تجد من يتبرع لها لأنها ليست وسيلة نشر كما هو الشأن بالنسبة لعكاظ !!!

ولا يعني كلامي هذا أن عكاظا لا يحق لها تكريم المتفوقين من أبنائنا الطلاب .. بل يحق لها وتشكر عليه ..

ولكن .. ألم يكن من الأجدر بعكاظ ـــ وقد فكرت في مسألة التكريم هذه ـــ أن تفكر على طريقة (جحا أولى بلحم ثوره) !!

أى أن تفكر قبل كل شيء في تكريم القدامى الرواد من رجال الصحافة الذين مازالوا على قيد الحياة .. والذين وهبوا الشيء الكثير من جهودهم وأفكارهم وأعمارهم لخدمة الصحافة في بلادنا !!

أو أن تفكر في تكريم صاحب أحسن (ريبورتاج) صحفي خلال العام .. أو كاتب أفضل زاوية .. أو نحو ذلك مما يتعلق بالصحافة ذاتها .. وبرجالها الذين هم كما يقال عنهم دائما : رجال البحث عن المتاعب !!

أليس هؤلاء الذين أنهكهم البحث عن المتاعب أجدر بتكريم عكاظ ، وهي الصحيفة اليومية الغارقة في المتاعب !!

قال عبد المطلب ، وهو يطالب بإبله من أبرهة (أنا رب إبلى .. وللبيت رب يحميه) .

ولو قالت عكاظ لنفسها وهي تفكر فى مسألة التكريم هذه : أنا صحيفة يومية وأدرك تماما مدى ما يعانيه رجال الصحافة ـــ القدامى أو المحدثين ـــ من متاعب .. كما أدرك أنه لا توجد أية جهة يمكن أن تهتم بتكريمهم .. كما هو الشأن بالنسبة للطلاب المتفوقين أو غير المتفوقين حيث توجد أكثر من جهة وجهة تملك الكثير من الأموال ومن الوسائل ما لا حصر له .. وإن كانت لا تملك الكثير من التفكير !!

لو فكرت عكاظ بهذا المنطق لوجدت أن رجال الصحافة أولى بتفكيرها في مسألة التكريم هذه ..(ولكان جحا أولى بلحم ثوره) حقا .. أليس كذلك ؟!

١٤٠٢/٥/١٤ هـ

يعلو الغبار عمائم الفرسان

□ □ كنا مجموعة من الأصدقاء في منزل أحدنا في مناسبة من مناسباته العزيزة ــ أكثر الله منها لنا وله ــ وما يحدث عندما تتجمع شلة من الأصدقاء ربما لم ير بعضهم بعضا منذ زمن يطول أو يقصر بسبب الظروف إياها التى أصبحت المشجب العتيد الذى نعلق عليه تقصيرنا فى الواجبات الاجتماعية !!

أقول عندما تجتمع مثل هذه الشلة من الأصدقاء .. فلابد أن يكثر الحديث ويطول ويتشعب .. وهذا هو ما حدث لنا بالضبط حيث ذهبنا كل مذهب في أحاديثنا حتى وصل بنا الحديث المتشعب ــ ولست أدرى كيف ــ إلى تقلب الزمان على الرجال فيعلو هذا .. ويهبط ذاك طبعا من الناحية المادية التي تتبعها بالضرورة المكانة الاجتماعية .. وذكرنا فلانا ــ من أصدقائنا ــ الذي صعد بصاروخ إلى سماء الثروة والجاه بينما كان معنا بالأمس القريب فقط كواحد منا .. إن لم يكن أقل من بعضنا .. وكيف أن أي واحد منا الآن لا يستطيع حتى مجرد مقابلته الخ .. الخ ..

وذكرنا فلانا ــ من أصدقائنا أيضا ــ وكيف تكالبت عليه الظروف وكثرة العيال والمسؤوليات فأصبح منهكاً خائر القوى مضعضع العزيمة .. وكان (المذكور) حاضرا بيننا فشكر لنا تعاطفنا معه ورقتنا لحاله ــ ولو بالكلام !! ــ وذكر لنا كيف أنه ــ منذ أيام فقط ــ صادف صاحبنا في مكان عام يقصد صاحبنا ذلك الذى ذكرناه آنفا ، والذى صعد بصاروخ إلى سماء الثروة والجاه !!

قال مددت له يدي بالسلام فمد لي أطراف أنامله كمن تبدو عليه الدهشة وعدم سبق المعرفة .. فذكرت له نفسي فكشر عن أسنانه في محاولة

لتكلف ابتسامة مغتصبة .. ثم قال أهلا .. تشرفنا .. وانصرف عني إلى حال سبيله !!

هذا الصديق .. أنتم جميعا تعرفون قصتي معه .

فانبريت أنا ــ من بين سائر الشلة ــ قائلا : نعم إننا نعرف جميعا أنك صاحب فضل كبير على هذا الرجل الذى كان صديقا لنا جميعا .. ثم أصبح فوق .. فوق ما لا نستطيع أن نصل إليه كلنا .. وليس أنت وحدك .. فهوّن عليك يا صديقى ..!!

ثم لست أدرى كيف قفز إلى ذاكرتي ــ رغم ثقوبها الواسعة ــ قول الشاعر مسلم بن الوليد :

أن يقعدوا فوقي بغير نزاهة وعلوّ مرتبة وعزّ مكان
فالنار يعلوها الدّخان وربّما يعلو الغبار عمائم الفرسان

ثم خطر ببالى أن (مسلم بن الوليد) هذا .. لابد قد عانى ــ بشكل أو بآخر ــ ما عاناه صاحبنا مع صاحبنا الآخر !!

وعلى كل حال .. تلك هي سنة الحياة .. ولابد أن نخضع ــ شئنا أم أبينا ــ لمنطق الحياة (ولو علا الغبار عمائم الفرسان !!)

وقد قذفت بالشعر وبهذه الدرر من الفلسفة والحكمة في وجوه القوم .. فلم يكن ردهم غير أن وجدوها مناسبة ممتازة لانهاء السهرة .. مادامت قد وصلت إلى حد إنشاد الشعر القديم .. ومعه التفلسف أيضا .. ولكنهم طيبوا خاطري بوعد يجتمعون فيه لأنشدهم بعض أشعار مسلم بن الوليد .. وكنت أعرف أنهم يكذبون !!!

١٤٠٢/٢/١٥ هـ

بين الأدب والطرب !

○ ○ أعتقد جازما أن العلاقة بين الأدب والطرب موغلة القدم في أعماق التاريخ .. ولو كان هذا الموضوع موضوع بحث أدبي ــ وليس موضوع زاوية يومية ــ لأتيت بالأمثلة والشواهد على ذلك .

ولكن الأمر ، وخاصة في هذا الموضوع .. لا يحتاج إلى أمثلة وشواهد لاسيما إذا كان تناوله في مثل هذه المساحة المحدودة .. إذ ما هو معروف أن العلاقة بين الأدباء ــ وخاصة الشعراء منهم ــ وبين المطربين علاقة قديمة وثيقة .. فهذا الأعشى مثلا يلقب بصناجة العرب لأن شعره كان ينشد مصاحبا لآلة موسيقية يسمونها (الصنج) وقيل في سبب هذا اللقب غير ذلك .. ولكنني ذكرته لأشير إلى قدم العلاقة بين الشعراء والمطربين .. وإن كانت في الواقع أقدم من زمن الأعشى .

أما في زماننا هذا ــ وهنا العجب ــ فقد انفصمت أو كادت تنفصم هذه العلاقة بين الشعراء الحقيقيين وبين المطربين .. حيث يلاحظ ــ بصورة واضحة ــ أن المطربين عندنا لا يغنون ــ في معظم أغانيهم ــ لشعرائنا الفحول .. سواء شعراء الفصحى أو شعراء العامية .. وإنما اقتصرت معظم الأغاني فى بلادنا على كلام عامي هابط .. يقوله بعض الفارغين ممن لا يعرف الألف من الياء في دنيا الشعر .. ولكنه يملك وسائل أخرى لجعل المطربين يتغنون بكلامه الفارغ الأجوف المرقع !!

وهكذا نشأت طبقة من هؤلاء الفارغين الذين لا يتمتعون بأية مواهب شعرية بالفصحى ولا العامية .. ولكنهم يملكون وسائل أخرى[1] تجعل المطربين يتهافتون على فتات كلامهم المرقع الأجوف !!

وبذلك وحده سقم ذوق المطربين أو تساقم لسبب أو لآخر .. أما الذى سقم حقيقة فهو ذوق المستمعين !!

وكان لابد أن يسقم ذوق المستمعين ، وهو يسمع صباح مساء هذا السيل الجارف من الأغانى المرقعة إياها !!

وهكذا انفصمت العلاقة فى زمننا هذا بين الشعراء الحقيقيين — لأنهم غالبا لا يملكون تلك الوسائل التى أشرنا إليها — وبين المطربين لأن الظروف ترغمهم على اختيار أناس معينين يقولون كلاما فى أوقات لهوهم وفراغهم ليس هو بالشعر ولا حتى النثر .. وإنما هو مجرد كلام ترصف الكلمة منه إلى جانب الأخرى كيفما اتفق .. ولكن أصحاب هذا الكلام يملكون وسائل فرضه على المطربين حتى أصبح الأمر — الآن — لا يحتاج إلى فرض .. فقد اعتاد كل مطرب على هذا النوع من الكلام فلم يطمح إلى غيره ظنا منه — أو جهلا بالأصح — أن هذا هو الشعر !!

إننا في كل ما قرأناه من الكتب القديمة نجد أن الشاعر يكاد يكون مطربا لفرط تذوقه للنغم المصحوب بالشعر الرائع .. وكان المطرب يكاد يكون أديبا بتذوقه لما يغنيه من شعر رفيع المستوى .

أما الآن فان المطرب أبعد ما يكون عن الأدب لابتعاده عن التغنّي بالشعر الرائق الفائق .. وأصبحت أخطاء المطربين أفحش ما يكون الخطأ في الرفع والنصب والكسر والجزم .

---

(١) أقصد أنهم يملكون المادة .. ومن ثم إغراء المطربين بها !!

أما في الشعر العامي فقد أصبحت المهزلة أفدح من ذلك وخاصة إذا غنى أحد المطربين من منطقة معينة ذات لهجة خاصة بها لشاعر أو شويعر من منطقة أخرى ذات لهجة خاصة بها أيضا .. فان المطرب هنا يأتي بالعجائب المضحكة في محاولاته لتقليد اللهجة الأخرى فيتحول من مطرب إلى « أراجوز » !!

أما الأدباء فلا يمكن أن يتذوقوا النغم وحده مع نشاز الكلمة ،ونبو اللهجة ، ورقاعة الشعر !!

١٨/٥/١٤٠٢ هـ

مصادفات عجيبة حقاً !

ثلاث مصادفات على التوالى وفي فترات زمنية متقاربة .. كانت من أغرب المصادفات التى حدثت لي بسبب عودتي إلى الكتابة مؤخرا .. وهي مصادفات تعتبر صدى مباشرا أو غير مباشر لما أكتبه في هذه الزاوية المتواضعة حيث يبدو أن الاهتمام ـــ سلبا أو إيجابا ـــ بما أكتبه قد وصل إلى حد الخلط بين ما أكتبه أنا بالفعل .. وبين ما يكتبه غيري ولكنه ينسب إلي عن طريق الخطأ .

المصادفة الأولى كانت مع معالى الأخ الكبير الدكتور محمد عبده يماني أي وزير الاعلام نفسه .. فقد قرأ موضوعا معينا لأحد كتابنا .. ولكن اسم الكاتب أفلت من ذاكرته .. وبقي الموضوع في ذهنه على أساس انني أنا بالذات كاتب ذلك الموضوع وليس كاتبه الحقيقي .

وقد عرفت هذه الحكاية بمجرد الصدفة .. فلما اجتمعت بمعاليه في أول فرصة في منزل معاليه شخصيا ..حاولت أن أصحح له إنني لست كاتب ذلك الموضوع الذي في ذهنه أنني كاتبه .. ولكنه كان مصرا .. أو كان راسخا فى ذهنه بما لا يقبل الجدل إنني بالذات كاتب ذلك الموضوع بكل تأكيد !!

ولم ينقذني من هذه الورطة غير وجود الدكتور عبد العزيز خوجه وكيل الوزارة للشؤون الاعلامية حيث أكد لمعاليه أن كاتب ذلك الموضوع هو الكاتب الفلانى .. وليس علي العمير !!

وبالكاد اقتنع معاليه مع بسمة استغراب واستطراف !!

أما المصادفة الثانية .. فقد كانت عندما التقيت قبل أيام بالصديق القديم الأستاذ حمدان صدقة في مكتب الصديق القديم أيضا الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين .. وإذا به ـــ أي حمدان صدقة ـــ يثور في وجهى صارخا ـــ على طريقته في المزاح معي ـــ قائلا :

ما هذا الذى كتبته اليوم ؟ .. هل بلغ بك السخف إلى هذا الحد ؟! ..
ألا تحترم نفسك يا رجل بعد هذا العمر الطويل في العمل الصحفي ؟!

وفوجئت حقا .. ولكنني تمالكت نفسي .. وقلت له :

على رسلك فأنا لم أطلع بعد على ما نشر لي هذا اليوم .. وإن كنت لا أنكر أصلا مسألة السخف .. ولكني أنكر عدم احترام نفسي !!

وهنا أنقذني أيضا الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين حيث تناول عدد عكاظ وإذا به يكتشف إن زاويتي لم تنشر أصلا في ذلك اليوم .. وأن الموضوع الذى يقصده حمدان صدقة إنما هو لكاتب آخر لم يطلق عليه والده اسم « علي العمير » !!

وهنا بهت الصديق حمدان .. وألجمته الدهشة !

أما المصادفة الثالثة .. فقد تلقيت — قبل أيام قليلة — خطابا رقيقا جدا من الصديق الأستاذ سباعي عثمان يشكرني شكرا جزيلا على ما ورد فى زاويتي عن « كذا » وهذا الـ « كذا » هو الذى لم أذكره أبدا فيما كتبته .. وبالتالي فأنا لا أستحق هذا الشكر من الصديق سباعي .. وإن كنت أتمنى دائما أن أكون موضع شكره وحسن ظنه .. ولكنني لم أكن كاتب ذلك الموضوع الذي يشكرني عليه .. بل هو كاتب آخر غيري هو الذي كتبه .

والغريب حقا أن جميع الموضوعات الثلاثة — التي نسبت إليّ — كانت موقعة بأسماء كتابها الأصليين .. وليست غفلا من الامضاء !!

هذه المصادفات الثلاث ، على ماذا يمكن أن تدل ، إن دلت على شيء بالضرورة ؟!

أترك للقارىء الكريم الاجابة على هذا السؤال ، وهي إجابات ذات احتمالات متعددة .. فاللهم احمنا من الاحتمالات غير المناسبة !!

٢٥/٥/١٤٠٢ هـ

شكسبير .. في صامطة !

... وصامطة هذه بلدة صغيرة متواضعة ، وإن كانت عاصمة لأهم قطاع من قطاعات منطقة جيزان ، القطاع الجنوبى للمنطقة .

وأنا أعرفها ــ بالطبع ــ حق المعرفة فقد ولدت ونشأت في قرية (الجرادية) على بعد كيلين من (صامطة) .

ليس ذلك فحسب .. بل تلقيت تعليمي المتواضع حتى الثانوية في (صامطة) هذه .. حيث كنت أتردد عليها يوميا للدراسة .. وكانت وسيلة مواصلاتى أفخم (حمار) في قريتنا ــ هذا إن كان للحمار أصلا أية فخامة ــ !!

وفي تلك الأيام .. بل ومنذ زمن أقرب كنت أتصور كل شيء يمكن أن يحصل من تطور أو تقدم في (صامطة) هذه إلا أن يصلها (التليفزيون) مثلا .. أو الهاتف .. أو نحو ذلك من أسباب الحضارة الحديثة ولكن وصلها (التلفزيون) .. ووصلها الهاتف وإن كانت الكهرباء لم تصلها بعد ــ ماتزال فى الطريق !![1]

فهم هناك لا يستخدمون الهاتف ليلا !!

والمهم أنه وصلت لصامطة الكثير من أسباب الحضارة الحديثة .. ويمكنني الآن هضم ذلك ؟!

ولكن ما لا يمكنني أن أتصوره أبدا .. أن يصل إلى صامطة ــ من ضمن ما وصل إليها ــ مسرح المستر شكسبير نفسه !! شكسبير في صامطة ؟!

---

(١) ربما لا ينشر هذا الكتاب إلا وقد انتشرت الكهرباء فعلا فى صامطة .

إنني حقا لا أكاد أصدق .. وأعتقد أن القراء أيضا قد رفعوا حواجبهم دهشة .. أو عدم تصديق أيضا !!

ولكنني قرأت في جريدة الرياض بتاريخ ١٤٠٢/٥/٢١ هـ كلمة بعنوان (شكسبير في صامطة) بقلم اسامة ذكرى ..

وخلاصة الكلمة أن (نادي حطين) بصامطة .. قد اختار مجموعة من شبابه لتمثيل (تاجر البندقية) لشكسبير على مسرح النادي وأنهم لم ينقلوا (تاجر البندقية) فقط .. بل عربوها وحوروها بحيث تعالج مشاكل قائمة في صامطة نفسها !!

وأن مجموعة الشباب الذين ذكرهم الكاتب .. والذين أعرف معظمهم — ومنهم الابن سامي علي أبو طالب — رحم الله والده .. فما أحراه أن يكون سعيدا بذلك لو سمع عنه أو شاهده ، ولولا أن الكاتب الكريم قد ذكر الأسماء .. بل ونشر صورة أيضا مع كلمته تمثل إحدى اللقطات .. لما كنت صدقت الحكاية برمتها .. أو كنت ارتبت فيها على الأقل !!

ذلك أن الذى يعرف صامطة مثل ما أعرفها قبل عشرين سنة مثلا .. ما كان يمكن أن يتصور بحال من الأحوال أن يصلها عبد العزيز الهزاع .. وليس شكسبير !!

أما الآن — وقد حصل ما حصل فعلا — ووصل شكسبير إلى صامطة .. فانه لا يسعني إلا أن أنعى إلى أهل صامطة .. وجميع أهالي المنطقة .. بل وجميع القراء ، أنعى إليهم جميعا انتقال العقول المتحجرة التي كانت تعشش فى صامطة وأمثالها إلى رحمة الله تعالى .. إذ لو كانت هناك بقية من ذلك لما وصل شكسبير إلى صامطة ، وهنيئا لشباب نادي حطين .. فما أحراهم لو علموا أن آباءهم من أمثالي كانوا يخشون حتى سماع الراديو !!

١٤٠٢/٥/٢٧ هـ

جامعاتنا.. والأدب !

أنا لا أعرف تماما المناهج المتبعة في جامعاتنا لتدريس الأدب ولكنني كنت ــ وما أزال ــ على ثقة بأنه لا يمكن وضع أي منهج جامعي لتدريس الأدب أو غيره .. إلا بعد أن يتلمس ذلك المنهج مدى متطلبات حياتنا وقيمنا وجميع الأسس التى يقوم عليها مجتمعنا !!

تلك هي مطلق ثقتي بجامعاتنا .. ولكن قدر لي أن أحضر محاضرة لأستاذ جامعي ــ ولا أريد هنا ذكر الأسماء ــ كان موضوعها يتعلق بالأدب في صميمه ــ ومرة أخرى لا أريد هنا ذكر عنوان تلك المحاضرة حيث يجرّ بالضرورة إلى معرفة الأسماء ــ فكانت فجيعتي بتلك المحاضرة لا حدود لها إلى حد انني قلت في نفسي : إذا كان هذا هو الأدب الذى يدرس في جامعاتنا فقد أفلسنا علم الله !!

ولكنني عدت فطمأنت نفسي أنه لا يمكن أن يكون ما سمعته في تلك المحاضرة من رطانة وجمجمة والتواء مفاهيم ، واستيراد قوالب جاهزة الصنع .. أو سابقة التجهيز كما هو الشأن في الخرسانة المسلحة !!

لا يمكن أن يكون كل ذلك أو غيره مما سمعته في تلك المحاضرة .. مما لا يمكن أن يمت بأدنى صلة للمناهج الجامعية في بلادنا رغم كون المحاضر أستاذا باحدى هذه الجامعات !!

ولربما كانت محاضرته هي مجرد رأيه الشخصى في موضوعها ولا علاقة لرأيه هذا بما هو مقرر في مادة الأدب في جامعته .. وفي هذه الحالة يهون الأمر كثيرا جدا إذ لكل رأيه .. ولا يمكن أن تستوي جميع الآراء .. كما لا يمكن أن يستوي الأعمى والبصير !!

وليس هناك من ضير ـــ بكل تأكيد ـــ في أن يبدي أي إنسان رأيه ، وخاصة في مجال كمجال الأدب تكثر فيه الآراء .. وتتعدد النظريات .. ولكن الضير كل الضير هو أن يكون هذا الانسان أستاذا جامعيا .. وأن يكون ما قاله بعض ما هو مقرر في مادة الأدب فى جامعته ـــ وإن كنت استبعد ذلك تماما ـــ ولكن الاستبعاد لا يزيل المخاوف !!

واننى ـــ وأريد أن يفهم ذلك الجميع ـــ لا يمكن أن أطالب بالحجر على أي رأى مهما كان .. أو مهما شط .. ذلك لأنه حتى وإن شط الرأى يمكن الرد عليه وتفنيده .

ولكن الرأى شيء .. ومقررات الجامعة شيء آخر .. ولو لم يكن هذا المحاضر أستاذا جامعيا لما أبديت كل هذا التخوف من الرأي .. ليس لشيء إلا لأنني أخشى الخلط بين ما هو مقرر في الجامعة وبين مثل هذه الآراء الشخصية أو الاجتهادات الذاتية .

إن الآراء الشخصية والاجتهادات الذاتية مجالها الصحف والكتب وسائر وسائل النشر والاذاعة .. وأما تحت قبة الجامعة فليس هناك غير منهج ثابت كما هو معروف .. وكل ما أبديته من تخوف في هذه الكلمة .. إنما هو بسبب حرصي على ثبات هذا المنهج وعدم اهتزازه أو تأثره بالتيارات المستوردة من خارجه .

إنني أحترم كل رأي قاله ذلك الأستاذ المحاضر في محاضرته مهما خالف رأيي .. أو تجافى مع قناعتي .. ولكنني لا يمكن أن احترم تلك الآراء لو أنها هي التى تلقن لأبنائنا تحت قبة الجامعة إذ هاهنا يختلف الأمر تماما عنه في قاعة محاضرات أو في مجلة أو جريدة .. أو حتى في كتاب .

وكل ما أرجوه صادقا ألا يكون هناك أي مبرر لتخوفاتي هذه .

١٤٠٢/٥/٢٨ هـ

المكتبات العامة أيضاً !

للمرة الثانية يدور الحديث بينى وبين الصديق الأستاذ هاشم عبده هاشم عن مدى الحاجة التي يعانيها الأديب إلى الكثير جدا من المراجع التاريخية والأدبية والتراجم والموسوعات .. الخ .. الخ .

وكيف أن الأديب مهما فعل في هذا الصدد فانه لا يستطيع أن يوفر في منزله الحد الأدنى مما يلزمه من هذه المراجع .. فاذا تجاوزنا الناحية المادية المطلوبة لتأمين مثل هذه المراجع فاننا لا نستطيع تجاوز ناحية مهمة جدا .. وهو المكان الذى لابد أن تشغله هذه الأكداس من المراجع التى قد تكون لازمة ـــ أكثر ما يكون اللزوم ـــ لكل أديب .. ولكنها لا تكون لازمة بالضرورة في كل الأحيان .

ومعنى ذلك أنه لو أراد الأديب توفير المراجع اللازمة له فانه لابد أن يخصص لها مكانا واسعا من منزله .. ثم تكون هذه الكتب عبئا كبيرا على الأديب سواء بالنسبة للمساحة التى تحتلها ـــ إذا أمكن توفيرها ـــ أو بالنسبة لمشكلة الحرص عليها عند كل انتقال من منزل إلى آخر .. وهو الأمر الذى يحدث كثيرا فمعظم الأدباء لا يملكون منازل خاصة بهم .. وإذا ملكوها فانها تكون أكثر تواضعا من أن تتسع لأولادهم وكتبهم إلى غير ذلك من المشاكل التى لا تحصى .

والواقع أن المكتبة المنزلية .. أو المكتبة الخاصة للأدباء أو حتى لغير الأدباء يجب ألا تشغل من المنزل غير حيز محدود .. وألا تكون الكتب الموجودة في المنزل أكثر من قواميس ومعاجم وموسوعات من النوع الميسر للرجوع إليها عند الحاجة السريعة .. ثم تلقى الكتب التي تقرأ ويمكن الاستغناء عنها بعد قراءتها مباشرة .

أما المراجع الضخمة والكتب المتخصصة والموسوعات الكبيرة وما شابه ذلك من الكتب المهمة فالمفروض أنها متوفرة في مكتبات عامة في كل حي من

أحياء المدينة .. يلجأ إليها من شاء متى شاء لبحث أو مراجعة أو استفادة .. وأن يكون هناك نظام اعارة للكتب في تلك المكتبات العامة ، وخاصة بالنسبة للأدباء والباحثين ونحوهم من طلاب العلم .

ولكن في غياب المكتبات العامة .. يضطر الأدباء المساكين ألى تكديس الكتب في منازلهم لتشاركهم مقامهم ومنامهم .. بل وتكلفهم عناء العناية بها ونفض الغبار عنها .

وكل هذه المشاق كان يمكن توفيرها لو كانت هناك مكتبات عامة في كل حي من أحياء مدننا كما هو مفروض .

لقد كنت أشاهد قبل ليال عرضا في التلفاز لمكتبة عامة في إحدى مدن أمريكا .. كانت أغرب مكتبة يمكن أن تخطر على بال إنسان .. فهي بالاضافة إلى مهمتها الأساسية ، وهي توفير الكتب والمراجع والمجلات الدورية وغير ذلك مما هو معتاد في المكتبات العامة .. والتي وفرتها هذه المكتبة بالفعل إلا أنها وفرت إلى جانبها قاعة للأطفال فيها كل ما يخصهم من كتب الأطفال وألعابهم — ومعظمها وسائل تعليمية على شكل ألعاب — ويشملهم نظام الاعارة في تلك المكتبة حيث يمكنهم استعارة أية لعبة أو أي كتاب لمدة أسبوع .

وهناك قاعة أخرى خاصة بالاسطوانات العالمية .. وأشرطة كاسيت (مسجل وفيديو) يمكن اعارتها أيضا لمن يرغب لمدة أسبوع .

وهناك ستمائة لوحة فنية لأشهر الفنانين العالميين يمكن مشاهدتها لكل من يرتاد تلك المكتبة .

وأغرب من كل هذا وجود قسم خاص بالأدوات الخفيفة التي تستعمل في اصلاح مختلف الأغراض في المنزل من نجارة أو سباكة أو غير ذلك .. ويمكن لأهل الحي استعارة ما يشاءون من هذه الأدوات .

وربما في مثل هذا الحي الذي توجد به مثل هذه المكتبة يمكن للانسان أن يستعير حتى فرشة ومعجون أسنانه .. فضلا عن الكتب والمراجع .. فأين نحن من كل ذلك !!

نقص القادرين .. على الكمال !

على طريقة : (هل غادر الشعراء من متردم) ذكرت قول الشاعر :

ولم أر في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على الكمال

فلا يذهلك أو يروعك مثل أن ترى مشروعا ضخما فخما .. كلف الدولة مئات الملايين ؛ والكثير الكثير من الجهود في الدراسات والتصميم والتنفيذ .. ثم يفجؤك عيب أو نقص يسير فيه .. أو سوء صيانة أو نظافة أو نحو ذلك من أنواع النقص الممكن تداركه بكل سهولة ويسر .. ومع ذلك لا يتم هذا التدارك .. فذلك هو نقص القادرين على الكمال .

أو على سبيل المثال أيضا .. تتجول في احدى مدننا فتشاهد المباني الضخمة للدوائر الحكومية .. ثم تفاجأ في زاوية ما من زوايا تلك المدينة بمبنى رث الهيئة زريّ المنظر شاحب الطلاء .. وإذا هو دائرة حكومية ؟!!

ولكنه — مرة أخرى — نقص القادرين على الكمال !!

وهناك بعض الأمثلة على وجود مثل هذا النقص ليس في مرافقنا الحكومية فحسب .. بل وفي منازلنا نحن وملابسنا ووسائل ركوبنا الخ .. الخ .

إن هذه النواقص التى تبدو صغيرة حقيرة لا تسترعي اهتمامنا أو مبالاتنا .. يمكنها في الواقع أن تكبر وتكبر دون أن نشعر بها إلا بعد أن تكون قد كبرت وكبرت .. ومن ثم يصعب تفاديها أصعب بكثير مما لو كان هذا التفادي منذ البداية .

وإلا فان شاعرنا القديم ما كان ليقول :

ولم أر في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على الكمال

لو لم تكن هذه العيوب موجودة في أمتنا منذ القدم ..أو على الأقل منذ أيام هذا الشاعر الذى لا أعرف اسمه ولا تاريخ ميلاده أو وفاته مع الأسف !!

ولا أظن منصفا يطالبني بالبحث في أمهات الكتب والتراجم لكي أجد اسم هذا الشاعر وتاريخ ميلاده أو وفاته .. لمجرد أن أكتب هذه الزاوية العجلى !!

والواقع أن ذلك يمكنني بالفعل .. ولكن ماذا نحن فيه منذ البداية ؟!

ألسنا في موضوع (نقص القادرين على الكمال) ؟!

١٤٠٢/٦/١٣ هـ

عراك الأرانب !

•• لعلها مجرد مصادفة ، ولكنها مصادفة مؤلمة حقا أن تنشر جريدة الشرق الأوسط في صدر صفحتها الأولى صورة على ثلاثة أعمدة لأرنبين يتقاتلان .. وتحت الصورة ، وبعنوان « الأرانب تتعارك ناسية الصياد » الكلام التالي بالنص :

« الحرب التي أعلنها الصيادون السويسريون على الأرانب البرية التي تهاجم مزارعهم وتتلف مزروعاتهم سقط ضحيتها حتى الآن ما لا يقل عن ١٤ ألف أرنب !

ولكن يبدو أن « الجبهة الداخلية » عند الأرانب غير متماسكة كما يلزم وإلا فكيف تفسر هذا الصراع بين أرنبين .. فوق عشب الربيع في حين تترصدهما بنادق الصيادين » انتهى التعليق على الصورة .

أما المصادفة التى أشرنا إليها في مطلع هذه الكلمة فهي أن الجريدة نفسها ، وفي العدد نفسه ، وفي صدر الصفحة الأولى نفسها .. وإلى جانب صورة الأرانب والتعليق عليها ، نشرت الجريدة خبر إغلاق سوريا لحدودها مع العراق بسبب ما ذكره الخبر عن اتهام سوريا للعراق « بالاستمرار فى إرسال المخربين والأسلحة للقيام بأعمال التفجير والاغتيال داخل سوريا وباقامة قواعد تدريب في الأراضي العراقية لتدريب عناصر تمهيدا لارسالهم إلى سوريا » .

وبصرف النظر عن صحة اتهامات سوريا أو عدم صحتها .. فان من المؤسف غاية الأسف ، والمؤلم غاية الإيلام أن تحدث كل هذه الخلخلة في وحدة الصف العربي .. وأن تتلهى بعض الدول العربية بالعراك الاعلامي ، وتبادل الاتهامات ، وقفل الحدود وغير ذلك مما يبعث على صدمة الشعوب العربية نفسها قبل غيرها .

وكل ذلك والعدو الغادر القادر يتربص على مشارف الحدود العربية .. ويستعد للانقضاض فى كل لحظة لابتلاع المزيد من الأرض ، واعلان الضم والتهويد !![1]

ولاشك أن الدول العربية ــ سواء سوريا أو العراق أو غيرها ــ ليست أرانب بالطبع .. ولكن العدو الصهيوني أشد خطرا على الدول العربية من خطر الصياد السويسري على أرانبه !!

ومن المؤسف والمؤلم حقا أن كل هذا الذي يحدث من شتات وفرقة وتمزق بين بعض الدول العربية إنما هو في الحقيقة ابتعاد عن تربص العدو .. في حين تُحتل أرضها ، وتُستباح حُرماتها ، وتُدنّس مقدّساتها .

إنني هنا لا يهمني أن تكون الشقيقة سوريا أو يكون الشقيق العراق على حق في هذا النزاع الذي وصل بينهما إلى حد قفل الحدود وتبادل الاتهامات .. وربما يصل إلى ما هو أبعد من ذلك[2] وإنما يهمني .. بل يؤلمني ــ كعربي مسلم ــ أن يحدث كل هذا بين سوريا والعراق .. أو بين غيرهما من الدول العربية والاسلامية في حين يوجه العدو فوهة مدفعيته .. واتجاهات صواريخه وقذائفه إلى كل شبر من أراضي العرب والمسلمين .. لا يهمّه أن يحرق بنيرانه كل البشر وكل الشجر .. ويهلك الحرث والنسل .. ويبيد كل من يقول ربنا الله ونبينا محمد !!

١٨/٦/١٤٠٢ هـ

(١) نشر هذا الموضوع قبيل غزو لبنان بفترة يسيرة .

(٢) وصل الأمر فعلا إلى ما هو أبعد من ذلك .

الاجراءات .. هي الاجراءات

قرأت في إحدى الصحف منذ أيام الخبر التالى :

« تلقت امرأة بريطانية فاتورة هاتف لا يعمل في منزلها منذ مدة طويلة .. لكنها دفعتها كي لا يقال أنها خالفت القانون .

الفاتورة كانت ببنس واحد فقط .. وجاءت ضمن رسالة كلف إرسالها ١٥ بنسا من الطوابع » .

هذا الخبر .. يذكرني بأيام الوظيفة الحكومية عندما كنت في وظيفة حكومية شغلتها منذ حوالى عشرين عاما .. وكانت وظيفة سكرتير وكيل وزارة المواصلات .. فكانت تمر بي كل يوم تقريبا الكثير من الخطابات التى كانت ترد من ديوان المراقبة العامة .. ومعظم هذه الخطابات كانت عبارة عن ملاحظات حول نقص طابع بقرش واحد (طابع طرق) — كما أتذكر الآن — ثم يأخذ هذا الخطاب دورة كاملة في أقسام الوزارة حتى ينتهي إلى الادارة المالية لتقوم هي بدورها باعداد خطاب أطول تؤكد فيه بأن الطابع كان ملصقا على المعاملة بالفعل .. ولعله سقط بفعل سوء الغراء .. أو تكون الادارة المالية قد نسيت بالفعل استكمال وضع الطابع منذ البداية .. فتقوم بلصق الطابع الطيب الذكر .. ولابد من كتابة خطاب بتوقيع وكيل الوزارة نفسه لاعادة المعاملة إلى ديوان المراقبة .. مستكملة الاجراءات !!

وكل ذلك من أجل طابع قيمته قرشا واحدا .. دون النظر كلفة تبادل هذه الخطابات ، تحريرها ، وطباعتها على الآلة الكاتبة ، وتصحيح الطباعة ، وتواقيع المسئولين .. وكلفة المراسل .. الخ .. الخ .

كل ذلك ليس مهما .. وإنما المهم هو الاجراءات وضرورة استكمالها .. وكان ذلك موضع تندر بين سائر الموظفين ليس في وزارة المواصلات وحدها .. بل في جميع الوزارات والدوائر الحكومية حينذاك .

وما كنت أظن أن مثل هذا يمكن أن يحدث في بريطانيا نفسها .. وفي هذه الأيام بالذات !!

ولكن لاغرو .. ولا غرابة فبريطانيا — في الواقع — عريقة في كل شيء .. ومما يروى من تاريخ بريطانيا في هذا المجال أن القصر الملكي في العصر الفكتوري كانت نظافته من الداخل من اختصاص الديوان الملكي .. أما تنظيف الزجاج من الخارج فهو من اختصاص شئون الغابات !!

تلك هي الدقة والعراقة في الاجراءات .. وتوزيع الاختصاصات .. فلا يستغرب أن يرد عنها أو منها — بريطانيا — مثل هذا الخبر الذي نقلناه في مطلع هذا الكلام !

وأما نحن هنا .. فلست أدري من أين جاءتنا مثل هذه الدقة في الاجراءات .. ولست أدري هل مازالت ملاحظات ديوان المراقبة العامة مثلا على المعاملات المالية من نوع ملاحظاته السابقة الذكر .. والخاصة بنقص طابع الطرق ؟!

ولكننى على يقين بأن هناك الكثير من الاجراءات الرسمية في كثير من الدوائر الحكومية لا تبعد عن حكاية نقص طابع الطرق .. أو فاتورة الهاتف البريطانية ذات البنس الواحد .. فالاجراءات .. هي الاجراءات !!

٢٢/٦/١٤٠٢ هـ

الهوس الكروي

قبلنا كل ما قاله أرباب الرياضة ، وهواتها ، وذوي الاستفادة منها عن (حكاية العقل السليم في الجسم السليم) وأن مزاولة الشباب للرياضة يمكن أن يدرأ عنهم الكثير من المفاسد إلى غير ذلك من أقوال التمجيد للرياضة والرياضيين !!

ولاشك أن « الرياضة » في حد ذاتها تعتبر من الجوانب الحياتية المعاشة في مختلف العصور .. ولدى كافة الأمم حيث نجد ذكر ألوان الرياضة في أقدم كتب التاريخ العربية وغير العربية.

ولكني لا أعتقد أن « الهوس الرياضى » قد بلغ في أي عصر ما بلغه في زمننا هذا .. وبخاصة « الهوس الكروي » !!

الصحافة ــ وخاصة في بلادنا ــ تفرد صفحات لأخبار الرياضة وأحاديث الرياضيين والمشجعين أكثر مما تفرد من صفحاتها لأي شأن آخر بما في ذلك الفكر والأدب والثقافة .. بل أن شؤون الفكر والأدب والثقافة بالذات لا تكاد تأخذ عشر ما تأخذه الرياضة من صفحات أية جريدة في بلادنا .

وكل ذلك قد قبلنا به أو سكتنا عنه مضضا . ولكن أن يبلغ ذلك حد الهوس .. بل الجنون .. بل الجريمة فهو أمر لا يحسن السكوت عليه بأي حال من الأحوال !!

لقد ذكرت « الجريمة » فيما ذكرت .. وأنا أقصد ما نشر قبل أيام في

هذه الجريدة[1] عن ذلك « الأب » الذى بلغ من شدة انفعاله أثناء مشاهدته لخسارة منتخبنا أن قذف رأس ابنه البالغ من العمر ثماني سنوات بطفاية سجاير تزن أكثر من كيلو فقش بها رأسه مما استدعى إجراء عملية للطفل بـ ١٤ غرزة ولم نعلم بعد هل عاش الطفل أم ذهب في عداد ضحايا « الهوس الكروي » ؟!

أن يبلغ الأمر كل هذا .. ويصل إلى هذا الحد فهو أمر لا يقبل به المجانين قبل العقلاء !!

وأنا لا أشك مطلقا أن وسائل الاعلام في بلادنا وغير بلادنا مسؤولة مسؤولية كاملة عما وصل إليه الناس من هوس وجنون رياضي .. وذلك بما تنشره وتذيعه وتهوّل وتهلل له هذه الوسائل الاعلامية عن شؤون الرياضة حتى طغت المادة المذاعة أو المنشورة عن الرياضة على كل ما عداها تقريبا .. ونحن نعلم جميعا مدى تأثير الوسائل الاعلامية على الجماهير .

قد يقول قائل : إن حادثة « الأب المجنون » حادثة فردية لا يؤبه لها .. ولكن إذا سلمنا جدلا بأنها حادثة فردية بالفعل ولا تصلح أن تكون مقياسا .. وخاصة أن الأب لم يكن يقصد قذف ابنه بالطفاية .. بل أعماه الانفعال فأصاب ابنه ، إذا سلمنا بذلك .. فاننا لا نسلم بالدلالة الخطيرة التى تحملها هذه الحادثة بل وهناك من الحوادث ما هو أخطر منها على مجتمعنا .. وهي حوادث وظواهر كثيرة معروفة .

وإننا لا نطالب هنا بمنع الرياضة أو حتى بالتقليل منها .. ولكننا نطالب فقط وسائل اعلامنا من صحافة واذاعة وتليفزيون أن تحد من تغذيتها وتشجيعها لهذا الاندفاع الكروي الجنوني .. فقد يأتي اليوم إن لم يكن قد أتى ـــ الذي لا نستطيع فيه لجم هذا الاندفاع !!

١٤٠٢/٦/٢٤ هـ

---

(١) جريدة عكاظ .

تواضع سَعد البواردي

المقابلة الصحفية التي نشرتها اليمامة مع الأستاذ (سعد البوادري) كانت مغايرة تماما للمقابلات التي ألفنا مطالعتها في صحفنا .. فقد تعودنا ــ نحن القراء ــ أنه ما أن تتاح الفرصة لاجراء مقابلة صحفية مع أية شخصية أدبية أو غير أدبية حتى تنهال علينا تلك الشخصية بسرد طائفة كبيرة من أمجادها ــ الوهمية طبعا أو المبالغ فيها !! ، وحتى تكون فرصة هائلة لتلك الشخصية للاعلان عن نفسها بصورة أردأ بكثير من الاعلانات العقارية في صحفنا !!

أما المقابلة مع سعد البوادرى فقد تميزت بنكهة خاصة .. هي نكهة التواضع الشديد .. ثم التواضع الشديد إلى الحد الذى تصورت معه أن أخي الأستاذ سعد البوادري كان في حالة نفسية معينة ربما حملته على ممارسة إذلال ذاته على طريقة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كل ما أحس في نفسه نزعة ما إلى التيه !!

وأنا شخصيا لم يدهشني تواضع الصديق سعد البوادرى لأنني أعرفه .. وأعرف أيّ نوع من الرجال هو .. قبل أن يكون أيّ نوع من الأدباء هو .

ويكفينا ما نعلمه جميعا عن مدى قرب الأستاذ البوادرى من الشيخ حمد الجاسر ، قربا لصيقا على مدى طويل من الزمن لندرك أنه لابد أن يكون إنسانا متواضعا جدا .. هذا إذا لم يكن متواضعا أصلا بصرف النظر عن قربه وصلته الطويلة بالشيخ الجاسر .. وإن كانت مثل هذه الصلة لابد أن يكون لها مثل هذا الأثر حيث القرين للمقارن ينسب .. كما يقول الشاعر :

كل ذلك عرفناه .. وأهلا به وسهلا !!

ولكن إمعان سعد البوادري في كل ذلك التواضع الذى أبداه في هذه المقابلة كان أكثر من أن يعتبر مجرد تواضع لوجه الله !!

كان تواضعا مبطنا بكبرياء شديد جدا .. ومبطنا أيضا بسخرية مريرة لاذعة .. كأنما أراد أن يقول للقراء :

هاأنذا أقول عن نفسي كل هذا الذى لا يدعو إلى فخر أو اعتزاز ان لم يدع — في الحقيقة — إلى التحقير والاذلال .. فهل تجدون — يا أيها القراء — بين من هم أقل شأنا مني بكثير جدا من يستطيع أن يقول عن نفسه بعض ما قلته عن نفسي ؟!

وكأنما أراد أيضا — من جهة أخرى — أن يقول لرجال الصحافة : كفاية (دوشة !!)

هذه المقابلات التي تجرونها مع بعض الشخصيات .. والتي لا يعرف ماضيها غير قلة من الناس .. فيستغلون الجهل بماضيهم ليتحدثوا على هواهم ويصنعوا من حولهم هالة كبيرة بالايحاء والتلميح .

كأني بأخي الأستاذ سعد البوادري قد أراد عبر المقابلة أن يقول أشياء كثيرة ضمنها ليست من صميمها .. وإلا فأي داع لذكر كل ما ذكره عن نفسه .. وخاصة أن الأسئلة نفسها لم تكن موجبة لتلك الاجابات الموجعة !!

ولا أشك أن الصديق الأستاذ (سعد الحميدين) وهو الذي أجرى المقابلة قد خرج من عند البوادري إلا يكاد يرى طريقه من شدة الدهشة .. ولكن لاشك أيضا أنه قد أدرك بعد ذلك أي نمط كانت مقابلته تلك ؟!

أما أنتم أيها القراء .. فلا تأخذوا تواضع البوادري مأخذ الجد .. ذلك لأنه لم يكن يقصد التواضع أبدا !!

١٤٠٢/٦/٢٥ هـ

ظاهرة .. المشيخة !

تلقيت اليوم دعوة من الدعوات التقليدية .. وقد كنت على وشك إلقائها حيث ألقي مثلها عادة .. عندما لفت نظري اللقب الذي يسبق إسمي .. وإذا هو هكذا « الشيخ علي محمد العمير » .

وفوجئت حقا .. فقد كان لقبي هو « الأستاذ » .. وهو لقب لا يعني ــ بالضرورة ــ دلالته .. بقدر ما يعني في إطلاقه المجاملة .. وما إليها !!

أما لقب « شيخ » .. فهذا هو الجديد حقا .. ومن يدري فلعلي صرت « شيخا » .. وأنا لا أعلم ؟!

والحقيقة أن لقب المشيخة قد أعجبني بقدر ما فاجأني .. أعجبني إلى حد انني ذهبت معه بعيدا جدا ..

لابد أن الذي منحني هذا اللقب .. يعلم أن والدي مايزال إلى الآن شيخ قبيلته ، وأنا ولده الأكبر .. وقد جرى العرف عند القبائل أن الابن الأكبر لشيخ القبيلة يعتبر بدوره شيخا !!

ولكن هذا التبرير .. لم يعجبني .. فمسألة أن أكون شيخ قبيلتي لا يزيدنى شيئا عما أنا فيه .. وليست هي المشيخة المقصودة !!

وهكذا ذهبت مذهبا آخر !!

قلت في نفسى .. لابد أن الذى منحني هذا اللقب .. يعلم إنني درست أصلا على طريقة المشائخ القدامى .. وكانت أول وظيفة حكومية شغلتها هي وظيفة « كاتب عدل » .. وكان لقبى الرسمى بالفعل « الشيخ علي » رغم انني كنت في حوالى الثامنة عشر من عمري !!

ولكن هذا التبرير .. لم يعجبني أيضا .. لأنني فقدت ذلك اللقب منذ حوالى ٢٥ عاما أو أكثر قليلا ــ وبلاش فضايح ــ !!

فقدت ذلك اللقب بمجرد تركي لوظيفة كاتب عدل .. وانخراطي في العمل الأدبى والصحفى انخراطاً لم أكسب منه غير لقب « أستاذ » .. ولم أكسبه عن جدارة فعلا .. بل على سبيل المجاملة والذوق الاجتماعي !!

وإذن .. ما هو أصل هذه « المشيخة » التي هبطت عليّ فجأة ؟!

لقد سألت هذا السؤال .. فعرفت أن إسمي كان ضمن بيان المدعويين .. وكان كاتب الدعوات لا يعرف شخصي الكريم .. ولكنه يعرف بعض الأسماء الموجودة في البيان .. وكلها أسماء لابد أن يسبقها لقب « شيخ » فتوهمني المسكين منهم مادمت ضمنهم في البيان !! ــ والاحتياط واجب ــ !!

وهكذا عرفت سر « المشيخة » !! وليتنى لم أعرف !!

وهكذا زالت عني بسرعة .. بزوال أسبابها !!

وفي الحقيقة .. ندمت .. ولم أندم في وقت واحد !!

ندمت على سؤالي السخيف عن أسباب « مشيختي » !!

ولم أندم أيضا .. بل فرحت لأنني سأسْلَم من لسان الأستاذ (عزيز ضياء) بما كتبه عن (الشيخ .. الشيك » أو لسان الأستاذ (إياد مدنى) بما كتبه عن « ظاهرة رجال الأعمال » .. فالحمد لله على كل حال !!

١٤٠٢/٧/١٤ هـ

مباحثات وتسوية

○ ○ ليس من عادتي أو طبعي أن أحاول الضحك على أحد ، وليس هذا تزكية لنفسي بل هي الحقيقة التي أعرفها عن نفسي جيدا ، وأعرف أيضا عن نفسي — إنني شديد الوضوح وشديد الصراحة إلى الحد الذي يتأذى منه — أحيانا — بعض أخلص خلصائي .. ولكنهم اعتادوا مني على ذلك مع مرور الزمن ..

وأصبحوا لا يأبهون حتى لسخريّتي اللاذعة منهم ومن نفسي أيضا !!

ورجل هذا شأنه .. لا يمكن أن تستقيم له أمور الضحك على أبسط الناس فكيف بالدهاة ممن احترفوا أساليب كثيرة في طريقة حياتهم ومعاشهم وتعاملهم ؟!!

ويهمني أن يكون قارئي العزيز قد صدقني فعلا في مسألة عدم قدرتي الضحك على أحد .. ولكن في مقابل ذلك كنت أعتقد جازما أنه لا يمكن لأحد أن يضحك على شخصي الضعيف لسبب بسيط ، هو أنه ليس عندي ما يكلف أي إنسان بمحاولة الضحك عليّ !!

ولكن اتضح لي — في هذه الأيام — انني كنت شديد الغرور بنفسي .. وأن الضحك عليّ من أي إنسان ليس ممكنا فقط .. بل هو يأتي من أهون السبل !!

وليس ذلك لأنه قد جدّ عندي ما يستحق عناء محاولة الضحك .. بل جدّ عندي من الأمور ما اضطرني إلى التعامل مع بعض الفئات التي لم يسبق لي التعامل معها ومع أمثالها .. وكنت أظن أن نوع هذا التعامل لا يحتاج إلى ضحك

مني أو منهم .. وإنما هو مجرد تعامل يحتاج إلى الوضوح والصراحة أكثر مما يحتاج إلى االضحك واللف والدوران !!

وكم كان ظني في غير محله عندما أسعفني ذكائي ــ على قلة ما يسعفني !! ــ بالمسافة الكبيرة التي تفصل بيني وبين هؤلاء وهي مسافة كبيرة لم يقدرها ويحددها ذكائي إلا مؤخرا جدا كما هي عادته في أكثر شؤوني معه .. فهو دائما ــ أي ذكائى ــ على أقل من مهله وعلى غير عجلة من أمره .. ولا بأس عنده أن أذهب أنا ضحية لكسله وتمهله !!

والمهم إنني اكتشفت ، وإن تأخر الاكتشاف ، إنني لكي أتعامل مع هذه الفئات من الناس احتاج إلى أحد أمرين :

إما أن أحاول تبديل ذكائي بآخر أقل كسلا وتمهلا ، وتغيير أسلوبي أيضا بأسلوب أكثر تكتما وغموضا وروغانا وزوغانا وثعلبة !! (والعياذ بالله) !!

وإما أن أترك التعامل مع هذه الفئات من الناس أصلا والرزق على الله سبحانه وتعالى !!

ولكن الأمر الأول .. وهو تغيير ذكائى أو أسلوبى .. يكاد يكون مستحيلا .. وخاصة بعد هذه السن التى وصلت إليها !!

وأما الثانى .. وهو عدم التعامل أصلا مع هذه الفئات التى يحتاج التعامل معها إلى مؤونة ليست في قدرتي .. فانه أمر ممكن .. ولكنني أتساءل في نفسي ــ مجرد تساؤل ــ لماذا لا نلتقي أنا وهؤلاء في الكيلو (١٠١) لبحث وتسوية الأمور[1] فيما بيننا !! أتنازل لهم عما يريدون .. ويتركون لي الصحراء والغبار ويا له من بحث .. ويا لها من تسوية !!

١٤٠٢/٨/١٦ هـ

(١) الاشارة هنا إلى أول مباحثات مصرية ــ اسرائيلية مباشرة وكان ذلك إثر حرب رمضان ١٩٧٣ م قبل حكاية (كامب دايفد) .

القفز فوق الحواجز !

منذ أكثر من عشرين عاما تقريبا .. وكنت أسكن في (الرياض) في شقة متواضعة فخطر لي ــ لست أدري كيف ــ أن أرفع من مستواي قليلا .. ولم يكن الأمر في الواقع أكثر من مجرد الانتقال من شقة إلى شقة أخرى !!

ولكن الشقة الأخرى .. كانت في عمارة الأمير محمد بن سعود وفي الدور الخامس بالذات .. وكانت هذه العمارة ــ حينذاك ــ أفخم عمارة على الاطلاق في مدينة الرياض .. وأعتقد أنها كانت العمارة الوحيدة التى يوجد بها (مصعد) حينذاك !!

وكانت فرحتي لا توصف وأنا أحاول أن أبهر (أم العيال) بتعليمي لها كيف تستعمل المصعد .. ولكن في غمرة فرحي نسيت مسألة مهمة جدا .. وهي أنه سيتعين عليّ أن أعلم كل من يزورني من أهلي أو أقاربي أو بعض معارفي السابقين لهذا التطور .. أعلمهم كيفية استخدام المصعد حيث لم يكن هناك عامل مختص بتشغيله !!

وهكذا تغيّر دوري من ساكن محترم في شقة محترمة إلى عامل مصعد !!

وكان لابد أن يحدث ذلك .. لأن الوسط أو البيئة التى انتقلت منها .. لا تحتمل كل هذا التطور الذى قفزت إليه !![1]

ومن الطرائف التى أذكرها أنه زارني أحدهم وكان كثيف اللحية عملاقا في طوله أسمر البشرة .. فما لبث حين دخل المصعد أن رأى نفسه في المرآة فرفع يده مشيرا إلى نفسه قائلا : السلام عليكم !!

---

(١) المقصود أن المجتمع فى أغلبه ــ حينذاك ــ لم يكن قد وصل إلى هذا المستوى !!

ثم وجه كلامه لي متسائلا : من هو الشيخ .. يا علي ؟!

ثم قصة أخرى !!

قام شقيقي (محمد العمير) بايصال عائلة من أقاربنا أرادت زيارتنا .. وقام هو بدور عامل المصعد ــ حيث سبق أن علمته أو تعلم هو بنفسه ــ لا أذكر ــ قام بايصال العائلة المذكورة وما أن ضغط على زر المصعد حتى ارتفع الصراخ والعويل من النسوة والأطفال .. وخرج السكان من كل شقة يملؤهم الرعب .. يتساءلون ماذا حدث ؟ وهو فى الواقع لم يحدث أي شيء غير أن المصعد ارتفع فجأة فصرخت النسوة من الخوف !!

وحوادث كثيرة جدا من هذا القبيل المضحك .. كان سببها بالطبع قفزتي الواسعة في التطور[1] ..

كثرت الحوادث من هذا القبيل إلى حد انني لم أعد أحتملها .. فهل تدرون ماذا صنعت ؟!

لقد انتقلت إلى بيت من « الطين » في المربع .. وكفى الله المؤمنين شر التطور غير المتدرج أو غير المعقول !!

وقد تذكرت الآن كل ذلك .. وأنا أتحدث مع أحد الأصدقاء عن سلبيات التطور .. وخاصة عندما يكون قفزا شديدا ، وهذا علمي .. وسلامتكم .

١٤٠٢/٧/١٩ هـ

---

(١) الاشارة هنا إلى أن التطور ينبغى أن يكون تدريجيا ومتناسبا مع تطور البيئة بكاملها .. أى لا يكون تطور أفراد فحسب !!

نحن العروبة والإسلام

لاحظ القراء هنا في المملكة مدى تزحزح الصديقين (هشام ومحمد علي حافظ) عن الاقليمية الضيقة (!!) منذ إصدارهما جريدة الشرق الأوسط وجعلا شعارها (جريدة العرب الدولية) ثم إصدارهما بعد ذلك مجلة (المجلة) بالشعار نفسه !!

فكان هذا الشعار نفسه يشكل انطلاقة قومية لا غبار عليها .. ولاريب فيها !

ثم أصدرا مؤخرا مجلة (المسلمون) وجعلا شعارها (المجلة الاسلامية الدولية) فكان ذلك أيضا انطلاقة اسلامية لا غبار عليها ولاريب فيها !!(١)

ولكن فطنت — على ندرة ما أفطن — إلى تناقض لم أفهمه بين الانطلاقة الأولى (القومية) للصديقين ممثلة في شعار (الشرق الأوسط) وشعار مجلة (المجلة) وبين ما قاله الصديقان العزيزان مؤخرا في هذه الجريدة (عكاظ)

قالا ما معناه : (نظرتنا إسلامية .. وليست قومية) .. وقالا أيضا : (إن القومية العربية تناقض نفسها بالاشتراكية حيث لا قومية في الاشتراكية) !!

وأنا شخصيا — كما يعلم الأصدقاء ومن ضمنهم هشام ومحمد على حافظ — من أجهل خلق الله — ولا فخر !! — بالشعارات السياسية ومضامينها هذا إن كان لها أصلا أية مضامين !!

ولكنني كنت أدرك أن اصطلاح (القومية العربية) هو اصطلاح يعني في

(١) توقفت بعد ذلك مجلة (المسلمون) .

مفهومي الانتماء للعروبة أكثر مما يعني الاتجاهات السياسية التى أرادها البعض كالاشتراكية مثلا ..

ولعنة الله على السياسة فما أكثر ما تخلط بين الأوراق .. وإلا فما دخل القومية العربية كعنصر بالاشتراكية كمذهب أو شعار سياسي ؟

إن الاشتراكي ــ متى أراد أن يكون اشتراكيا ـأمكنه ذلك سواء كان عربيا أو يهوديا أو هنديا .. ولكن العربي لا يمكن أن يكون (اشتراكيا) بالضرورة لمجرد كونه من قومية عربية !

أما مسألة التنصل من الانتماء العربي بحجة شمول الانتماء الاسلامي فهذا شيء وذاك شيء آخر .. فشمول الانتماء الاسلامي كعقيدة لا ينفي عن الهندي كونه هنديا أو الفارسى كونه فارسيا .. الخ .

ومن فضل الله سبحانه وتعالى أننا هنا فى المملكة العربية السعودية لا نعاني أية مشكلة في الانتماء إلى العروبة أو الاسلام فان قيل (عروبة) فنحن منها فى الهام والسنام .. ولا يمكن أن نتنكر لعروبتنا لمجرد الخوف من شعارات سياسية جوفاء !

وأما إذا قيل (الاسلام) فنحن موئله ومبعثه .. نحن سدنة الكعبة ونحن أهل الحرمين وأصل الاسلام !

ومن هنا فان (عروبتنا) ليست شعارا .. بل حمداً لله أن جعلنا خير أمة اصطفاها لرسالة الاسلام .. كما أننا لسنا في شيء من الريبة من ناحية شمول رسالة الاسلام لكافة البشر إلى الحد الذى يجعلنا نتنصل من عروبتنا لتأكيد الناحية الشمولية في الرسالة الاسلامية فهي لا تحتاج إلى شيء من ذلك .

١٤٠٢/٧/٢٢ هـ

صحافة الانطباعات

○ ○ مما يحمد لصحافتنا حقا أنها ابتعدت في الآونة الأخيرة بعض الابتعاد عن ذلك الاسفاف الذي كان سائدا في مجال الأسئلة الصحفية من نوع (ما هي انطباعاتك عن المملكة ؟)

وكان هذا السؤال يقدم لأي زائر بمجرد أن تطأ رجله أرض أي مطار في المملكة .. وربما لم يكن قد زارها من قبل فما عساه أن تكون انطباعاته ؟!

ولم يكن قد نشأ ذلك عن غير الجهل والسخف .. بل كان قد نشأ عن سوء اختيار التحرير للمندوبين الذين يمثلون الصحيفة في حفل رسمي .. أو في مؤتمر صحفي .

والمفروض أن يكون رئيس التحرير على درجة من الوعي لمقام ومكانة كل مناسبة فلا يبعث مخبرا ناشئا إلى مؤتمر صحفي علمي مثلا .. وهكذا !

ومن ذكرياتي في هذا الصدد إبان عملي فى الصحافة منذ أكثر من عشر سنوات .. أذكر أنه زار المملكة مجموعة من المستشرقين الفرنسيين وجميعهم على قدر كبير من التبحر في علوم الحضارة الاسلامية .

وقد عقدوا مؤتمرا صحفيا في فندق الكندرة بجدة حضره جميع مندوبي الصحف في المملكة .. وكنت وأخي وزميلي الأستاذ (محمد صلاح الدين) من بين الحاضرين هو مدير تحرير جريدة المدينة وممثلها في المؤتمر وأنا سكرتير تحرير جريدة البلاد وممثلها في المؤتمر مع غيرنا من مندوبي الصحف .

وبدأ أحد أعضاء الوفد الفرنسى .. وهو من كبار العلماء المستشرقين فتحدث طويلا عن الحضارة الاسلامية .. ثم ذكر ــ فيما ذكره ــ كتاب

(المغني) وأشاد به كثيرا .. ولكنه لم يقل أنه من تأليف (ابن قدامة) اعتمادا بدهيا منه على أن جميع الحاضرين يعرفون بالطبع كتاب (المغني) ومؤلفه ولكن ؟!

وهنا بدأت الأسئلة من حضرات المندوبين .. ومنها بالطبع حكاية (الانطباعات) .. ولكن وبمفاجأة شديدة جدا للجميع ، سأل أحد المندوبين — ولا داعي لذكر اسمه الآن — سأل عما إذا كان كتاب (المغني) قد ترجم من اللغة الفرنسية إلى العربية ؟! ومن هو مؤلفه ؟

وهنا لم يفهم المستشرق الفرنسى معنى السؤال بل ألجمته الدهشة .. ولكن حبكت النكتة معي بسرعة فبادرت قائلا :

ياسيدى الجليل .. إن زميلي يقصد بسؤاله عما إذا كان الكتاب قد ترجم من العربية إلى العربية ثم هل ابن قدامة هو الذي ترجمه ؟!

وهنا ضجّت القاعة بالضحك !

أما ذلك العلامة المستشرق فقد كاد يغمى عليه من شدة الضحك .. وأما أخي الأستاذ محمد صلاح الدين — وقد كان بجواري — فقد غطى وجهه من الخجل .. ولا أظنه يلعن شيئا منذ ذلك اليوم إلى الآن أكثر من لعنه للجهل !!

١٤٠٢/٧/٢٣ هـ

الهمذاني أقدم صحفي

○○ كنت أعرف أننا أو بعضنا ــ نحن العرب ــ قد ذهبنا كل مذهب في الزعم لأنفسنا الأسبقية والأولوية في كل شيء تقريبا .. وبعضنا يغالي ويبالغ في هذا الشأن إلى حد السذاجة والغفلة !!

وأذكر هنا ــ بالمناسبة ــ نكتة لطيفة كنت قرأتها منذ زمن .. ولا أذكر الآن في أي كتاب قرأتها !!

تقول النكتة أن شيخا أزهريا كان يزعم دائما أن كل شيء .. كل شيء تماما قد ذكره القرآن الكريم !!

وفي احدي الحفلات الرسمية ــ أيام الاستعمار الانجليزي لمصر ــ كان على رأس الحفل المستر (كوك) وكان ذلك الشيخ الأزهري من حضور الحفل .. فأراد أحد الخبثاء أن يعبث به .. فقال له : كيف تقول ــ يافضيلة الشيخ ــ أن كل شيء تماما قد ذكره القرآن الكريم .. وهذا المستر (كوك) غير مذكور فى القرآن ؟!

فانتفض الشيخ غاضبا .. متسائلا : ومن قال أنه غير مذكور فى القرآن ؟

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : (وتر .. (كوك) قائما) !!

هذا من جهة الشيخ الأزهري !

أما من جهة بعض علماء التاريخ والفلسفة والأدب والطب إلى غير ذلك

من العلوم والفنون فانهم يزعمون ــ حقا أو باطلا ــ أنه ما من علم أو أدب أو فن إلا وقد سبقت إليه الحضارة العربية والاسلامية !

ونحن نعلم أن بعض هذه المزاعم صحيحة بالفعل ومدعاة لفخرنا واعتزازنا .. ولكن لا يجوز أن تكون هذه المزاعم على وجه الاطلاق بحق أو بغير حق !

كنت أعرف ذلك تماما .. وأعرف المبالغات الكثيرة في هذا الصدد .. ولكن لم يخطر في بالي أن أقرأ فى يوم من الأيام أننا سبقنا أمم الأرض في مجال الصحافة أيضا !!

ولكننى اليوم وأنا أقرأ كتاب الدكتور مصطفى الشكعة عن (بديع الزمان الهمذانى) وجدته يقول عن (بديع الزمان) أنه (صحفي مثقف) وأنه واضع (أسس المقالة الصحفية) وأنه (الرائد الأول لفن المقالة الصحفية في اللغة العربية) وأن (قلم البديع ورسائله كانت صحافة شعبية) !!!

وكل ذلك لأن الهمذاني قد كتب بعض الرسائل التى ينتقد فيها بعض المظاهر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية كما لم يفعل غيره في زمنه أو قبل زمنه على حد زعم الدكتور الشكعة .

وكنت أود أن أنقل للقارىء بعض النصوص التى أوردها الشكعة للهمذاني إلا أن مساحة الزاوية لا تتسع لذلك !

ولكن مهما يكن من أمر فان المسألة لا تحتمل كل أو بعض ما ذهب إليه الشكعة .. ولكن أليس له فى مثل ذلك الشيخ الأزهرى أسوة حسنة ؟!

١٤٠٢/٢/٢٤ هـ

الأدب والتراث في جريدة المدينة

أريد أن أشهد شهادة لله سبحانه وتعالى .. ولا أريد عليها ـــ بالطبع ـــ جزاء ولا شكورا .. ولا حتى فتح الباب الحديدى الضخم المغلق ، والأسئلة والأجوبة وهلاك الروح من دونه !(1)

أشهد لله أن جريدة المدينة المنورة هي الوحيدة من صحفنا التى تعنى عناية فائقة جدا بشئون الأدب والثقافة .. والتراث العربي والاسلامي حيث تخصص عدة صفحات في عددها الأسبوعي لهذه الشئون .. كما تفسح صدرها أيضا خلال أيام الأسبوع ـــ أي الأعداد العادية .. وليس العدد الأسبوعي فقط ـــ للكثير مما يردها في هذه الشئون وبعناية فائقة أيضا !!

وبذلك بقيت الصحيفة الوحيدة من بين سائر صحفنا التي حافظت على كونها وسيلة مهمة من وسائل نشر الأدب والثقافة والتراث العربي والاسلامي .. وزادت عنايتها بذلك أكثر وأكثر عندما زادت صفحاتها عن السابق .

أما سائر الصحف الأخرى ..فهي تتفاوت في العناية بهذه الشئون ولكن بشعور من يؤدي واجبا ثقيلا .. أو لا ضرورة له !!

لقد كانت صحفنا ـــ وإلى عهد قريب جدا ـــ هي الوسيلة الأولى لنشر الأدب والثقافة في بلادنا حين لم تكن هناك أندية أدبية .. ولا دور نشر سعودية .. ولا أي شيء من هذا القبيل .. فكانت صحفنا هي التى تسد كل ذلك الفراغ أو بعضه على الأقل .

---

(1) الاشارة هنا إلى أن جريدة (المدينة) عندما انتقلت إلى مبناها الجديد جعلت للباب حارسا وسكرتيرا فلا يدخل المبنى أى شخص إلا بعد هلاك الروح بالأسئلة عمن يكون وماذا يريد .. الخ .. الخ ولم يكن ذلك متبعا من قبل !!

وما من أديب في بلادنا لم يكوّن شهرته الأدبية عن طريق صحافتنا وحدها تقريبا .. وكانت صحفنا تعي دورها جيدا في هذا الشأن .. وكانت لذلك تحتمل أكثر مما يطيقه المفهوم الصحفى لمهمة الجريدة في العصر الحديث .. ولكنها كانت تخالف هذا المفهوم عن طيب خاطر من أجل الأدب والثقافة .

أما الآن فقد تخلت عن طيب خاطرها ـــ ما عدا جريدة المدينة ـــ في محاولة لأن تكون صحافة خبر وصورة وتحقيق .. وهو أمر لا مأخذ عليه أبدا .. ونحمد الله أن صحفنا لم تفعل ذلك إلا بعد أن توفرت بعض وسائل النشر الأخرى لشئون الأدب والثقافة .. وإلا كانت مصيبة حقيقية !!

على أن صحفنا .. أو بعضها لم تهمل الجانب الأدبي والثقافي إهمالا كاملا .. وكل ما هنالك هو قلة العناية من قبل رؤساء التحرير بهذا الجانب بالذات مما تسرّب معه الشيء الكثير من الغثاثة والرثاثة فيما ينشر باسم الأدب .

وبعض صحفنا لو أحجمت نهائيا عن نشر كل ما يمت بصلة إلى الأدب والثقافة لكان أكرم لها من أن تكون مشاركتها الأدبية والثقافية على ذلك القدر من الهزال !!

وتحية خالصة لجريدة المدينة المنورة .. والله من وراء القصد .

١٤٠٢/٧/٢٥ هـ

التوازن بين الرياضة والثقافة

أشهد شهادة خالصة مخلصة أن الصفحات الرياضية في صحفنا قد نشرت الثقافة الرياضية بين قرائها أكثر بكثير جدا مما استطاعته الصفحات الأدبية بالنسبة لقرائها .. فان ابني مجدي (١٣ سنة) يفقه في شؤون الرياضة عن طريق الصفحات الرياضية أكثر بكثير جدا مما فقهته أنا في الأدب عن طريق الصفحات الأدبية في صحفنا !!

وهذه الشهادة — وإن كانت حقا — تضع أيدينا على ما يسميه أهل الرياضة أيضا : « الاخلال بالتوازن » !!

وهذا الاخلال في التوازن لا أشعر به أنا وحدي بل أصبح يشعر به أشد الناس حماسا للرياضة .. يشعرون به إلى حد الاشفاق على الكفة الأدبية الثقافية المائلة ، والعاثرة !!

ولعل أبرز ما يؤكد هذه الحقيقة .. حقيقة الاخلال بالتوازن بين الرياضة والثقافة .. هو ما أكده صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز في المؤتمر السنوى للشؤون الثقافية حيث ذكرت الأخبار الصحفية ما نصه :

« أكد سمو الأمير فيصل بن فهد الرئيس العام لرعاية الشباب على أهمية تحقيق النمو المتوازن بين الأنشطة الثقافية والرياضية في الأندية » وهذا والله هو الانصاف .

أفلا تسمع صحفنا مثل هذا التأكيد من أمير الشباب ؟!

لو أن صحفنا تسمع وتعي مثل هذه الأقوال المدركة لما كانت تفرد من كل

عدد الأربع والخمس صفحات لشؤون الرياضة يوميا .. بينما لا تفرد للثقافة سوى صفحة أو صفحتين مرة واحدة فى الأسبوع !!

أليس هذا هو الاخلال بالتوازن على الصعيد الصحفي .. ؟ وهو اخلال جعلني فى الكفة المائلة . وجعل ابني الصغير في الكفة الراجحة !!

أما الاخلال بالتوازن على صعيد نشاطات الأندية فهو أفدح وأفدح إلى درجة أن ذكر ـــ مجرد ذكر ـــ كلمة ثقافة عند جماهير الكرة ولاعبيها وإدارييها يعتبر من بواعث الهزء والسخرية !!

والواقع أن مطالبة سمو الأمير بايجاد التوازن بين الأنشطة الرياضية والثقافية تعتبر إدراكا سليما لحقيقة الأمر ولكنها في الوقت نفسه من المطالب الصعبة جدا .. ذلك لأن كفة الرياضة قد رجحت بما لا يقاس .. وأن كفة الثقافة تحتاج إلى مجهودات ضخمة جدا لجعلها في مستوى التوازن مع كفة الرياضة !!

وهذه المجهودات .. يجب أن تبدأ ـــ أول ما تبدأ ـــ من الرئاسة العامة لرعاية الشباب نفسها فهي وحدها التي تملك الكثير من الوسائل لتحقيق هذه الغاية .. أو بعضها على الأقل !!

كما أن صحفنا بانسياقها وراء تملّق الجماهير مسؤولة تماما ، وعليها واجب المشاركة في إيجاد عملية التوازن المنشودة !!

٢٩/٧/١٤٠٢ هـ

هل يقرأ الوزراء ؟

الملاحظ أن معظم وزرائنا من الأدباء والكتاب اللامعين .. وبعضهم يسهم فعلا بالكتابة في الصحف في مختلف المجالات والشؤون العامة والمعروف أن الأديب أو الكاتب لابد له أن يقرأ .. وأن يقرأ كثيرا .. ولكننا هنا لا تهمنا قراءة الأديب الوزير فيما يريده لنفسه من ثقافة أو أدب أو علم أو فن .. فذلك يخص الانسان في شخص الوزير .. ولاشك عندي أن الانسان في شخص الوزير كثير القراءة والاستفادة .. ولكن ذلك لا يهمني هنا !!

وإنما يهمني هنا هو (المسؤول) في شخص الوزير هل يقرأ حقا في الشؤون العامة وفيما يتعلق بمسؤوليات وزارته .. هل يقرأ ملاحظات الصحف ، ومقترحات الكتاب ؟

هذه مسألة أتمنى وقوعها إذ لو أن كل وزير أعطى من وقته للقراءة في الشؤون العامة وفيما يتعلق بشؤون وزارته مما ينشر في صحفنا ، ولو بنسبة ضئيلة مما يعطيه من وقته للقراءة في شؤون الثقافة العامة .. لو كان ذلك كذلك لما ذهبت كل تلك المقترحات المهمة أو النقدات الجادة التى تنشر فى صحفنا هباء .. ودعك مما يمكن أن يسمعوه مشافهة من كثير من المواطنين .

وتلك ملاحظة .. أرجو ألا تضيق بها صدور الوزراء الأدباء ومن أجل مرضاتهم .. وعلى سبيل : الشيء بالشيء يذكر .

نقول إن وجود وزراء أدباء في بلادنا وغير بلادنا أمر غير مستغرب في الحقيقة كما يظن بعض الناس .. بل هو الأصل في تاريخنا العربيوالاسلامي بصفة خاصة .

وكلنا نعرف أن ازدهار الأدب العربي في أزهى عصوره إنما كان على أيدي الوزراءالأدباء سواء في العصر العباسى أو عصر بني بويه مثلا !!

وغير بعيد عنا ذكر عبد الحميد الكاتب .. أو الصاحب بن عباد أو غيرهما من صفوة الوزراء الأدباء في العصور الزاهية بالأدب ، ولكن هاهنا فارق آخر بين أولئك وبين وزرائنا ، لابد من ذكره .. وليحتمله منا أصحاب المعالى !!

كانت مجالس الوزراء في تلك العصور منتديات كبرى لرجال الرواية والعلم والأدب والشعر .. وكانوا ــ أي الوزراء ــ يشجعون على التأليف .. بل كانت معظم المؤلفات تكتب لهم وتهدى إليهم .. ولولاهم لما كان بين أيدينا الآن هذا التراث الأدبي الضخم .

أما مجالس وزرائنا فهي الفنادق والطائرات والمكاتب المغلقة أو المزدحمة بالاجتماعات والاستقبالات الرسمية ، وعلى هذا فان المقارنة ليست في صالحهم .

ترى لو أراد أي قارىء معجب بأدب وشعر الدكتور القصيبى مثلا .. أن يقابله ليسأله أو يستفيد منه .. كما كان شأن المريدين مع الوزراء في العصور السابقة .. أين يمكن أن يجده ؟

في منزله بالروضة .. وهو لا يكاد يستقر فيه ؟

أم في مكتبه بالوزارة مع زحمة الاجتماعات والاستقبالات الرسمية ورنين الهاتف .. الخ ..

اللهم أننا نعرف أن المقارنة بين الماضي والحاضر غير واردة وإنما هى خاطرة عنّت لى ليس إلا .. فمعذرة !!

١٤٠٢/٨/١ هـ

ظاهرة نشر القديم !

أشعر أننا هنا في المملكة العربية السعودية ، وفي مجال الأدب والثقافة بالذات .. لا نكاد نعرف ماذا نريد على وجه التحديد ؟!

ولابد لكل إنسان — في أي مجال — أن يعرف ، قبل كل شيء .. ماذا يريد بالتحديد .. ثم يعمل — على بصيرة — من أجل تحقيق الهدف الذي وضعه لنفسه .. ويسعى إليه بكل ما يسع من جهد !

ولكننا هنا — كما يلوح لي — لا نعرف ماذا نريد بالضبط .. ولذلك تكاد تكون كل مساعينا في الجوانب الأدبية والثقافية شبه مبعثرة للجهد والوقت والمال على غير طائل !!

على أن هناك ظاهرة ملموسة .. طغت على السطح أخيرا — من غير قصد بالطبع ! — وهي أن الكثير من الاصدارات الأدبية الحالية في المملكة عبارة عن مراجعة للدفاتر القديمة .. أي أن معظم هذه الاصدارات الحديثة عبارة عن كتب سبق طبعها .. أو دراسات ومقالات وقصص وقصائد سبق نشرها فى الصحف .. حيث كانت الصحف اليومية والأسبوعية هي الوسيلة الأولى لنشر أدبنا — في وقت مضى — كما هو معروف .

وهذه الظاهرة .. أي جمع القديم ونشره في كتب يمكن أن تكون ظاهرة جيدة لو حددنا هدفها .. وأبرزنا ملامح القصد منها .. وهو أن نضع بين أيدي الأجيال الحديثة خلاصة فكرنا وأدبنا المبعثر في الصحف والمجلات ليكون مجالا للبحث والدراسة والتمحيص .. وليكون من ثم انطلاقة إلى أفق أوسع ، ومدى أبعد .. ؟!

ولكن أخشى ما أخشاه أن تكون هذه الظاهرة ، ظاهرة نشر القديم .. هي مجرد افلاس أدبي .. أي على طريقة المثل الشائع (إذا جاع فتش دفاتر أبوه) !!

ومهما يكن من أمر .. فان ظاهرة نشر القديم .. يمكن أن تشكل ظاهرة صحية جيّدة لو أحسنا توجيهها .. وأحسنا الافادة منها بحيث لا تكون هي الهدف المنشود .. بل المحور أو المنطلق نحو أفق أرحب في دنيا الأدب والثقافة .

إن نشر القديم من شأنه أن يضع بين أيدى الباحثين والدارسين وفي متناول أيديهم الكثير من أوجه البحث والدراسة .. وقد كانوا يعانون الكثير من المشاق في أبحاثهم ، واضطرارهم للتنقيب في بطون المجلدات الصحفية القديمة المهترئة غير المنظمة أو المفهرسة !!

وهكذا يمكننا أن نجعل من هذه الظاهرة نفسها ، هدفا مرحليا بحيث نركز عليها بعض الوقت بقصد وبوعي .. وليس لكونها أسهل وأقرب وسائل النشر !!

أما الهدف المستقبلي .. فهو دراسة هذا الذي بين أيدينا وبلورته وتحديد موقعه من الاعراب كما يقول النحاة .

ثم يكون ذلك هو نقطة الصفر لبدء انطلاقة جديدة .. لا يكون ميدانها الصحف والمجلات ــ كما كان الشأن في السابق ــ بل الكتب والدوريات المتخصصة .

وهو مطلب ليس بالعسير .. بل الأعسر منه هو أن نتبناه .. وأن نجعله مطلبا أو هدفا .. وأعسر من كل ذلك هو أن نعمل على تحقيق هذا المطلب أو بلوغ هذا الهدف !!

جريدة الشرق الأوسط ١٤٠٢/٨/٢ هـ

حوار عن السخرية والجهل !

قال لي أحد الأصدقاء الخبثاء : أراك تسرف في وصف نفسك بالجهل في كثير من كتاباتك .. فهل تريد إفهامنا أنك شديد التواضع ؟!

قلت له : إن هذا الباب من أبواب التفسير والتأويل .. يليق تماما بخبثك يا صديقي !

ولكن قل لي : هل تعلم أنت كل ما أعلمه أنا ؟

قال : لا .. وهذا يزيد من دقة سؤالي !

قلت : فهل أعلم أنا كل ما تعلم أنت ؟

قال : لا .. بالتأكيد !

قلت : فأنت جاهل يا عزيزي بما لا تعلمه من معلوماتي .. وأنا كذلك بالنسبة لما أجهله من معلوماتك .

وكلانا ـــ أنت وأنا ـــ أشد جهلا بسائر المعلومات الكثيرة الواسعة التي لم يصلها علمنا !

قال : صدقت .. ولكن كل الكتاب مثلك ومثلي في الجهل ـــ من هذه الناحية ـــ ومع ذلك لا يأتون على ذكر جهلهم مثل ما تفعل أنت في كثير من الأحيان .. بل على العكس . يذكرون علمهم الفياض .. وأدبهم الغزير .. فما بالك أنت تشذ عن القاعدة ؟!

قلت : أما وقد وصلنا إلى هاهنا .. فانني أريد أن أذكرك بذلك الشاعر القديم القائل :

فلما رأيت الجهل في الناس فاشيا ... تجاهلت حتى قيل إني جاهل

وغير ذلك .. فان الجهل ــ ياصديقي ــ لا يخلو من أن يكون أحيانا في حد ذاته ، نعمة من نعم الله تعالى على عبده !

وأما التظاهر بالجهل ــ في بعض الأحوال ــ فهو أوفر نعمة .. وأحسن حظا !!

قال : فمن هنا إذن تكثر من السخرية بنفسك قبل الآخرين ؟

قلت : أما السخرية بنفسى فهي وسيلة وليست غاية .. وسيلة لتعرية بعض الناس وكشفهم أمام أنفسهم .. كأنما أقول لهم : لو نظر أي منكم إلى نفسه لرأى العجب العجاب .. ولكنكم لا تنظرون إلى أنفسكم إلا في المرآة لاصطناع الهندام .. ولا تنظرون إلى ذواتكم لاصطناع أدب الحياة !!

السخرية من نفسي ــ ياصديقي ــ مرآة أحاول أن أضعها تجاه وجوه الآخرين ليروا كم هي كالحة !!

قال : ولكن القراء لا يفهمونك على هذا النحو !

قلت : تقصد طبعا ذلك النوع من القراء الذين يقرأون الصحف لمجرد التظاهر بالاطلاع .. هؤلاء القراء قد زهدت فيهم .. واكتفيت بقلة قليلة من القراء ليسوا من أولئك ولا على شاكلتك !

قال : هذه إهانة !

قلت : بل تأكيد حقيقة !

قال : وهل ستكتب هذا الحوار ؟

قلت : إنه مادة صالحة بالفعل !

قال : وهل ينشره رئيس التحرير ؟

قلت : سيجيزه دون قراءة لأنه يعلم إنني لا أكتب غير السخافات والجهل .. ومنذ متى كان في السخف أو الجهل أي خطر على رؤساء التحرير ؟!

١٤٠٢/٨/٥ هـ

الخضرة بين الحاجة والترف !

قلت لصديقى مداعبا :

هذه الشجيرات الصغيرة الحلوة في مجلسك .. وغرسة الفل على مكتبك المنزلي .. تدل على ذوق وشفافية ورقّي حضاري متقدم .. ومعرفتي بك يا صاحبي تقول : انك — في الأصل — قرويا جلفا لا تكاد .. بل لا يمكن أن تبالي بمثل هذه الأشياء .. فهل أثّرت عليك إقامتك في المدن إلى هذا الحد .. إلى حد أنك — وأنت الذي لا تملك حديقة منزل — تشتري الشجيرات والغرسات وتضعها داخل منزلك وفوق مكتبك .. تسقيها وترعاها وتحدب عليها .. وتتمتع بها .. فمنذ متى هبطت عليك هذه الرقة والوداعة ؟

وانتفض صديقى .. كأنما كنت طعنته في صدره .. أو كما لو كنت أتكلم بالسخرية عن أحد أبنائه .. ثم قال فى لهجة قروية صارمة :

وأنتم — يا أهل المدن — منذ متى تعرفون الرقة أو الذوق أو الوداعة ؟

إن هذه الأشياء عندكم مجرد مظاهر زائفة براقة خادعة .. أما في القرى فهي حقيقة رائعة ، وإن كانت تختفي وراء ستار من الصلابة .. أو الصرامة — على حد تعبيرك ..

هذه الشجيرات مثلا ، وهي التى تتحدث عنها .. إنها عندكم فى المدن مجرد مظهر من مظاهر الزينة التى تتباهون بها .. دون أن يكون لها في نفوسكم أي حس حقيقي !!

أما في القرى فان الشجرة لا تعني الخضرة فقط .. كما هو معناها عندكم — يا أهل المدن — .. بل هي في القرى حاجة وضرورة حياتية .. هي الظل ، وهي الثمر ، وهي المرعى .. ثم هي الرائحة الزكية .

هل تعرف أن (رديمة فل) في (جيزان) تساوي عند الجازاني كل حدائق المدن ؟!

وهل تعرف أن شجرة سدر أو أثل عند راعي غنم مثلا هي أروع وأبدع من كل هذه الحدائق المنسقة في المدن ؟

إن الشجرة في القرى — يا صاحبي — حاجة حياتية قبل أن تكون ترفا أو متعة .. فاذا جاء دور الترف أو المتعة عند القروي بخضرة الشجر أو روائحه كان ذلك الترف أو تلك المتعة منبعثة من كل أحاسيسه .. وليس كما هو الشأن عندكم في المدن .. مجرد ترف باذخ .. أو متعة عابرة !!

فهل فهمت الآن معنى احتفاظي بهذه الشجيرات في منزلي وحبي لها وحدبي عليها ؟!

إنه ليس تقليدا لكم في المدينة .. بل حنينا عميقا لأساس مهم من أسس حياتي السابقة في القرية !

لقد رأيتك مرارا — يا صديقى — وأنت تجلس في حديقة منزلك ، وهي حديقة لطيفة رائعة أغبطك عليها .. ولكنني لاحظت — بكل أسف — أنك لا تكاد تلقي بالا إليها .. أو تجد متعة حقيقية فيها .. وكل ما هناك أنه إذا حضر إليك زائر تباهيت أمامه بوجود تلك الغرسة النادرة .. أو ذلك التنسيق البديع لأشجار الحديقة .. وأما إحساسك فهو أبعد ما يكون عن ذلك !!

قلت له : على رسلك أيها الصديق .. لم أقصد إثارة غضبك .. ولا استفزاز سلاطة لسانك .. وإنما هي مجرد ملاحظة أبديتها ففيم الغضب !!

٦/٨/١٤٠٢ هـ

مجال النشر .. ياوزارة الاعلام !

قطعت وزارة الاعلام في السنوات الأخيرة شوطا طويلا في مجالات اعلامية متعددة ، وقامت بانجاز الكثير في هذه المجالات .. ولكن لسنا هنا بصدد حصرها أو الاشادة بها .

وإنما نحن هنا بصدد ملاحظة واحدة ليس إلا .. وهي أن وزارة الاعلام كانت تقوم في السابق باصدار بعض الكتب والنشرات الاعلامية بالاضافة إلى مجلة شهرية ونشرة أسبوعية .. والحقيقة أن تلك الكتب والنشرات والمجلة أيضا لم تكن مجدية بأي حال من الأحوال .. اللهم إلا أنها كانت تثبت وجود دور وزارة الاعلام في مجال النشر ، وذلك بصرف النظر عن كون هذا الوجود كان كعدمه في الحقيقة .

أذكر أنها ـــ أي وزارة الاعلام ـــ كانت تنشر بعض كتيّبات اعلامية متضمنة احصائيات وأرقاما لا تلبث أن تفقد تلك الاحصائيات والأرقام قيمتها بمجرد صدور ميزانية جديدة في السنة نفسها التى صدرت فيها تلك النشرات .. وذلك في الوقت الذى تكون قد وزعت فيه تلك النشرات أو الكتب على مصادر اعلامية عديدة تتخذ منها مرجعا باستمرار .. دون أن تعلم تلك الجهات الاعلامية أن الموجود لديها قد جدّ فيه الشيء الكثير .

وأذكر إنني اقترحت على وزارة الاعلام ـــ قبل عدة سنوات ـــ إصدار كتاب سنوي يكون صدوره بعد صدور الميزانية مباشرة لكي يتضمن أحدث المعلومات وأن يشار في غلافه إلى كونه كتابا سنويا .. أي أنه يفقد قيمته بعد انتهاء السنة .

وأذكر أنني تلقيت خطابا رسميا من سعادة وكيل وزارة الاعلام يشيد فيه بفكرتي تلك ويعد بالتنفيذ .. ولكن لأسباب أو لأخرى لم يتم التنفيذ .

وأنا هنا لا أطالب بالكتب والنشرات الاعلامية .. بل أريد أن أذكر وزارة الاعلام بأنها تكاد تقوم بدور وزارة الثقافة .. ومن هنا فانها تتحمل مسؤولية كبيرة في المساهمة القوية في مجال نشر الكتب الدينية والأدبية والثقافية .. فضلا عن الكتب والنشرات الاعلامية ..

وذلك مطلب على درجة من الالحاح لا تجهله وزارة الاعلام .. ولكن يبدو أن تخلفها في هذا المجال سببه زحمة الأعمال الأخرى لديها ، وهي كثيرة !

ولكن مهما يكن من عذر فانه لا يمكن أن يبرر استمرار القصور في هذه الناحية المهمة .. وإنني أقترح بهذه المناسبة أن تقوم الوزارة بايجاد صيغة ما للتعاون مع دور النشر السعودية في مجال اصدار بعض الكتب لحسابها بأية صورة من صور التعاون .. وذلك من شأنه أن يوفر الكثير من الجهد على وزارة الاعلام ، ويساعد في الوقت نفسه دور النشر السعودية .

١٠/٨/١٤٠٢ هـ

على العمير الشاعر !

أما (علي العمير) الأديب ثم الصحفي .. فقد عرفته بعض الأوساط الأدبية والصحفية في بلادنا .. ولكن ما لم يعرفه القراء قط هو (العمير الشاعر) . وهنا تأتي الحسنة المباركة للأستاذ محمد بن أحمد العقيلي عندما نشر رسالة من رسائلي له قبل ربع قرن وفيها أربعة أبيات ركيكة سمجة كلها تقريظ وثناء على أدب العقيلي .. وهنا كشف ما كان مستورا .. وذلك لأنني حرصت دوما على ستر هذه العورة .. عورة الشاعرية ، حتى جاء العقيلي — سامحه الله — فكشفها دون قصد بالطبع ..

ومادام بعض القراء قد علموا بشاعريتى المستورةعن طريق تلك الأبيات الركيكة السخيفة التى نظمتها فى مطلع شبابي .. فمن حق هؤلاء القراء أن أقول لهم قصتي مع الشعر .

وقبل أن أروي قصتي هذه .. لابد أن أروي لكم نكتة في هذا الصدد .. يمكن أن تساعد على هضم قصتي البايخة هذه !!

تقول النكتة أن أحد الشباب الولو ع بالشعر والأدب قد خطر له أن ينظم قصيدة .. وفعلها !!

وكأنها أعجبته قصيدته فعرضها على شاعر كبير يأخذ رأيه فيها .. وتصفحها الشاعر الكبير ثم قال له :

قصيدتك هذه يابنى (عابرة محيطات) !!

والشاعر الكبير يقصد بعبارته تلك أن أبيات القصيدة متعددة البحور ..

كل بيت منها من بحر .. مما يدل على أن الشاعر الشاب لم يكن له في الشعر ناقة ولا جمل !!

وإذا كان ذلك الشاعر الشاب قد عبر المحيطات بقصيدة واحدة ولمرة واحدة .. فأنا قد عبرت كل محيطات الدنيا عدة مرات بما كنت أكتبه في شبابي من قصائد .. ولكن بعد أن اشتد عودي قليلا .. كنت لا أعبر غير بحر واحد بالقصيدة الواحدة .. ومازلت أحتفظ إلى الآن ببعض تلك المحاولات الشعرية المبكرة .. ومعظمها في باب الغزل طبعا !!

وأذكر أنني نظمت قصيدة لا تقل عن عشرين بيتا في (راعية غنم) .. وكان عنوان القصيدة (راعية الغنم) !!

وللحق والانصاف لشاعريتي الموءودة .. أقول أن تلك القصيدة لم تكن من (عابرات المحيطات) .. بل كانت موزونة مقفاة ، وانسانية المضمون .. ولكن البناء الشعرى فيها .. لا يزيد عن كونه (خرابة) .

تلك هي قصتي مع الشعر .. ولكن من حسن حظ القراء انني زجرت نفسي عن هواها .. ولم أنشر تلك السخافات مثل ما فعل غيري .. واكتفيت بمجال النثر لعلي أن أجيد فيه .. ولكن حتى هذه (مسألة فيها نظر) كما يعبر الفقهاء !!

– ٢ –

• ونصل حديثنا عن (علي العمير .. الشاعر) برواية حكاية ذات صلة بالموضوع .. فقد حدث عام ١٣٨٥ هـ أن عزمت احدى المناطق التعليمية على إقامة مهرجان ضخم ــ نسيت مناسبته ــ وكان مدير تعليم تلك المنطقة من أصدقائي ويحسن الظن بي كثيرا ــ جزاه الله خيرا ــ فاستضافني في منطقته للمشاركة في عضوية اللجنة الخاصة بالاعداد للمهرجان وكان ذلك المهرجان برعاية شخصية كبيرة .. ودعيت إليه شخصيات كبيرة أيضا .

وقد عملت لجنة الاعداد للمهرجان بكل همة ونشاط وكانت برئاسة مدير التعليم نفسه الذى أبدى ملاحظة مهمة جدا .. وهي أنه لا توجد قصيدة واحدة باللغة الفصحى .. وبدأت اللجنة تفتيشها عن شاعر لتغطية هذا النقص في برنامج الحفل وجاءت فعلا بعض القصائد .. ولكنها لم تحز على مباركة اللجنة وقد كنت العضو الوحيد المتساهل في هذه المسألة بالذات ، وكان رأيي أن أية قصيدة يمكن أن تكون مناسبة لأن الجمهور لن يلتفت إلى مدى جودتها بقدر ما سيلتفت إلى حسن إلقائها ولكن اللجنة لم تقتنع برأيي .. فما كان مني ذلك المساء إلا أن أخذت الورقة والقلم .. و (صقعت) قصيدة من حوالى ثلاثين بيتا .. قدمتها في اليوم الثانى للجنة على أنها لشاعر لا يرغب ذكر اسمه .. ولكن صديقي مدير التعليم لم تنطل عليه حكايتى أو أكذوبتي الصغيرة .. وكان يعرفني جيدا فبادر أعضاء اللجنة قائلا :

إن هذه القصيدة من نظم الأخ علي .. فما رأيكم فيها ؟

ولدهشتي الشديدة حظيت القصيدة بموافقة الجميع مع إنني لم أقصد غير المداعبة والعبث بصديقي وأعضاء اللجنة .. ولكنهم أصروا على أن تكون هي القصيدة المطلوبة .. وهي في الواقع لم تكن قصيدة بالمعنى الصحيح .. وإنما كانت كلمات طنانة رنانة من النوع الذى يصلح بالفعل لمجال الخطابة .

ولكني فاجأت اللجنة برجاء عدم ذكر اسمى بحجة إنني أصلا غير شاعر وبحجة أخرى هي أن القصيدة ستلقى باسم الأهالي .. وأنا لست من أبناء تلك المنطقة ولا يصح ذوقا تطفلي هذا .. واقتنع أعضاء اللجنة واختاروا طالبا جيد الالقاء لالقائها باسم الأهالي .

وعندما حان موعد المهرجان حضرت مرة أخرى بصفتي الصحفية هذه المرة .. وعندما جاء دور القصيدة المذكورة فوجىء الناس بالمذيع يقدمها على أنها من شعر الطالب الفلاني .. وأنها باسم الأهالي .. وهذا ما لم تحسب حسابه اللجنة حيث كان الطالب صغير السن .. وليس شاعرا كما هو معروف عنه في

منطقته .. وكانت الدهشة أكبر وأكبر عندما نشرت بعض الصحف تلك القصيدة على أنها من شعر ذلك الطالب ومعها صورته أيضا .

وكان مقلبا لم يغفره لي بسهولة صديقي مدير التعليم وأعضاء لجنته .. ولكنهم كتموا أمري وفاء بوعدهم .. أما أنافقد كانت التجربة مضحكة لي من جميع الوجوه !!

١٥ ــ ١٦/٢/١٤٠٢ هـ

جناية الحبر والورق !

أعتقد أن أكبر جناية جنتها الحضارة الحديثة على الانسانية جمعاء .. هي صناعة الحبر والورق .. وما يتعلق بهما !!

لولا وجود الحبر والورق لما اضطر الانسان كل هذا الاضطرار إلى أن تكون لديه الكثير جدا من الأوراق .. فهو منذ ولادته مباشرة يحتاج إلى شهادة ميلاد .. ثم اثبات اسمه في حفيظة والده .. ثم شهادة تطعيم .. ثم إذا بلغ مبلغا من السن يستطيع معه قيادة سيارة احتاج قبل كل شيء إلى (ترخيص مؤقت) ثم إذا اشترى سيارة احتاج إلى (استمارة) فاذا بلغ السن القانونية احتاج إلى حفيظة مستقلة ، ورخصة قيادة .. ولابد أن يحتفظ بالسند الذى دفع بموجبه رسوم البلدية .. فاذا دخل الجامعة احتاج إلى مجموعة من الأوراق والشهادات ، شهادته للثانوية العامة ، شهادة حسن سير وسلوك ، شهادة طبية ، وورقة من ولي أمره وورقة من العمدة .. الخ .. الخ .

فاذا دخل معترك الحياة بعد كل ذلك احتاج إلى أكوام من الأوراق التي تثبت ملكيته لأرض مثلا مع رسم (كروكي) لها .. فاذا أراد البناء احتاج إلى الكثير من الأوراق ليحصل على رخصة بناء .. وان احتاج إلى فتح دكان أو مكتب صغير كان لابد من سجل تجاري ، وتصريح من البلدية فيما يتعلق ببعض المهن .. أو إلى رخصة من وزارة الصناعة فيما يتعلق بالصناعة ولو كانت صناعة مسامير أو ابر خياطة .. أما إذا كان يريد طبع كتب فعليه أن يحصل على ترخيص من وزارة الاعلام .

هذا كله وهو في وطنه .. أما إذا أراد السفر فلابد من جواز سفر ، والحصول على هذا الجواز يتطلب الكثير من الأوراق .. ثم مع ذلك كله لابد له من أن يحتفظ بالكثير من الأوراق والمستندات التى لابد منها لأي عمل كان .

والأدهى من كل ذلك أن معظم هذه الأوراق التى يحملها تحتاج إلى تجديد بين حين وآخر .. فلابد من الذهاب إلى مختلف الدوائر الحكومية التي تصدر تلك الأوراق اللازمة .. وليس مهما أن يكون مريضا .. أو كبير سن أو نحو ذلك من الأعذار التى لا جدوى منها .. والتى لن تريحه من الوقوف لساعات طويلة .. بل ولعدة أيام أحيانا ينتظر دوره في الطوابير المزدحمة .. فلا يحصل على ما يريد إلا بشق الأنفس ، ويترك عمله ، أو الصبر على مرضه ، أو وهن شيخوخته !!

وكل ذلك .. كان في غنى عنه تماما عندما لم تكن هناك صناعة حبر وورق .. فما أسعد أولئك الأجداد البسطاء الذين عاشوا قبل أن يشهدوا كل هذه المتاعب التى يعانيها أحفادهم .. ولا حول ولا قوة إلابالله !!

١٤٠٢/٨/٢١ هـ

المقابلات الصحفية

وأنت تقرأ في بعض صحفنا ومجلاتنا .. تلك المقابلات التي تجريها مع الشخصيات الرسمية وغير الرسمية .. تشعر دائما أن الشخصية موضع المقابلة هو سيد الموقف على كل الأحوال .. وتشعر أنه هو الذي أعد الأسئلة التي توجه إليه أو أوحى بتوجيه الأسئلة كما يريد هو .

وهذا أمر غير وارد بالتأكيد .. ولكن ذلك هو شعوري فعلا حين أقرأ بعض تلك المقابلات .

ولاشك أن ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى ضعف شخصية المندوب الصحفي ، وذوبانه انبهارا بالشخصية موضع المقابلة ، ولو كان هذا المندوب على درجة من الوعي لمكانته وموقعه كممثل لجريدة محترمة لشعر حتما أنه أقوى من أية شخصية يمكن أن يجري معها مقابلة صحفية .

ولكن بعض المندوبين على درجة كبيرة من الضعف في شخصيته ذاتها وعدم ثقة بها إلى حد بعيد .. كما أنه لا يرى من رؤسائه ذلك الاعتداد المطلوب تجاه أية شخصية .. وناحية ثانية مهمة جدا .. وهي أن الكثير من المندوبين عندما يذهب أحدهم لاجراء مقابلة صحفية لا يكون مركزا ذهنه على نواح معينة يريد انتزاع الاجابة عنها من تلك الشخصية .. ولا يكاد يعرف الوسائل لانتزاع تلك المعلومات أو الاجابة ، وهي وسائل عديدة منها اللياقة واللباقة ولكن باعتداد .. ومنها — ربما — ضرورة الاستفزاز ولكن بشيء من التواضع أو الأدب .

والملاحظ أيضا — غير ذلك — أنه ما أن تحظى جريدة معينة بمقابلة صحفية طيبة مع شخصية ما حتى تنهال الصحف الأخرى على تلك الشخصية

طلبا للمقابلات .. وتصبح تلك الشخصية هي نجم المقابلات الصحفية في مناسبة وغير مناسبة .. وخاصة إذا كانت تلك الشخصية من محبي الظهور — وما أكثرهم — !!

أريد أن أطلب من كل صحفي يريد أن يجري أية مقابلة مع أي شخص أن يسأل نفسه أولا : ماذا يريد من تلك المقابلة ؟.. ماذا يمكن أن يفيد قراء جريدته منها ؟ ماهو تصوره المسبق للمعلومات التي يريدها من ذلك الشخص .. وما مدى ما لديه هو من خلفيات عن المعلومات التى يريدها .. ولماذا يريدها ؟ عفوا .. أيها الزملاء الأحباء ..

ليس هذا درسا في ألف باء الصحافة ..

وإنما هو تنفيس عن كربي من كل هذا الابتذال الذي تمارسه بعض صحفنا يوميا .. وعلى رؤوس الاشهاد !!

إن ذلك وأمثاله .. قبل أن يكون استهتارا بالقراء يكون استهتارا بمكانة الجريدة نفسها وبالتالي مكانة مندوبها .

ولكن من يقرأ .. ومن يسمع !!

١٤٠٢/٨/٢٩ هـ

النفخة الكاذبة !

من ذكريات طفولتي التى مازلت أذكرها جيدا .. إنه كان في قريتنا رجلا يحيط نفسه بهالة كبيرة بما يزعمه ويدعيه لنفسه من شجاعة خارقة ، وعنفوان لا مثيل له .. وكنت أحد الذين يسمعون مزاعمه لنفسه .. والتي يكررها دائما ..

ولكوني طفلا تبهره حكايات الشجاعة والاقدام وما إلى ذلك .. ولكوني طفلا أيضا كنت أصدق ذلك الرجل فيما كان يزعمه لنفسه !

وذات يوم .. كان ذلك الرجل نفسه يدخل في معركة كلامية حامية مع شخص آخر .. وكان ذلك البطل المزعوم يهدد ويتوعد الشخص الآخر بأنه سيفعل به ويفعل .. الخ .

وكان ذلك على مسمع مني حين كنت برفقة والدي .. فطلبت منه — أي من والدي — أن يتدخل بسرعة لينقذ ذلك الشخص الآخر المسكين من براثن ذلك الليث الضرغام الهصور !!

ولكن والدي .. لم يزد على أن ابتسم .. وقال لي .. أصبر يابني !!

ولدهشتي وذهولي ، رأيت الشخص الآخر المسكين يتقدم بهدوء .. ولكن بثبات .. ثم يمسك بخناق ذلك الرجل المتباهي الذي يزعم لنفسه المزاعم .. أمسك بخناقه ورفعه وخبط به الأرض .. ثم رفعه مرة أخرى ، وخبط به الأرض مرة أخرى أيضا وأيضا .. وذلك مع صفعة شديدة من جانب ، وصفعة أخرى قوية من جانب آخر .. ولم يزل معه كذلك حتى صرخ صاحبنا (الذي يزعم لنفسه المزاعم) مستنجدا بوالدي !!

وهنا فقط تدخل والدي ، وهو صاحب كلمة مسموعة عند الشخص الثانى (المسكين) .. وطلب منه — بل أمره — أن يكف عن الرجل .. فكف عنه فعلا !!

وكنت أنا — أثناء ذلك — فاغر الفم .. دهشة وذهولا .. لا أكاد أصدق ما أرى !

ولكن منذ ذلك اليوم حتى الآن لم أعد أصدق أيضا أي إنسان يزعم لنفسه المزاعم .. ويحيط نفسه بنفخة كاذبة !

بل أصبحت أحتقر — احتقارا كاملا — كل من يتباهى بنفسه على ذلك النحو .. سواء في مجال الشجاعة — كما كان يتباهى صاحبنا — أو في غيرها من المجالات !!

ومنذ ذلك اليوم .. وأنا أنظر إلى كل شخص يزعم لنفسه المزاعم .. أنظر إليه فورا على عكس ما يزعمه لنفسه تماما إذ سرعان ما أتمثل في خاطري ذلك الرجل (المغوار) الذي انهار أمامي وصرخ واستنجد .. بينما كان في نظري الطفولي آية في الشجاعة والقوة والبأس !!

ولقد ذكرت هذه الحكاية .. وتمثلت في خاطرى كثيرا .. وأنا أشهد شيئا من هذا القبيل هذه الأيام ولكن على مستوى الصحافة فقط !!

١٤٠٢/٩/٦ هـ

التوازن بين الرأي والخبر

مادمنا — في صحافتنا — قد قفزنا مؤخرا هذه القفزة الواسعة .. من مجرد صحافة رأي ومقالة وأدب وفكر إلى صحافة خبر وصورة و (ريبورتاج) .. فاننا لابد أن نبارك هذه القفزة الجديدة التي تتناسب مع مفهوم الصحافة الحديثة في العالم .

ولكن — كما هو الشأن — لابد أن يكون للقفزات بعض السلبيات بطبيعة الحال .

وقفزتنا الصحفية هذه لم تراع ناحية مهمة جدا ، وهي أن مجتمعنا — وهو في طور النمو — مازال بحاجة ماسة إلى الرأي بشكل ربما يكاد يضاهي حاجته إلى الخبر والصورة إن لم يكن أكثر !

ولكن صحافتنا .. أو معظم صحفنا .. لم تعد تهتم بهذه الناحية .. ناحية الرأي .. وان اهتمت فليس بالقدر الكافى .

إن نسبة المساحة المخصصة للرأي من مجموع المساحات المخصصة للأغراض الأخرى في كل صحيفة .. لا تكاد تذكر ، وهو أمر يلفت نظر كل متتبع .. ولاشك أن المسؤولين عن صحافتنا يدركون ذلك تماما .. ولكن ربما كان انهماكهم في المتاعب الصحفية قد حال دون أن يكون لهذه الناحية النصيب الكافي من اهتمامهم !!

وأنا أعرف أيضا أن بعض رؤساء التحرير — وهم أصحاب رأي — لا يمكن أن يرضوا بهذا الاهمال والهوان لجانب الرأي .. وهؤلاء الرؤساء بالذات لا عذر لهم عندنا !!

أما أولئك الرؤساء الذين ليسوا أصلا من أصحاب الرأي فربما عذرناهم بعض الشيء !!

وسواء كان هؤلاء أو أولئك .. فانني لا أشك على أنهم جميعا يدركون أهمية الرأي ، وخاصة في مجتمع كمجتمعنا .

ولذلك نطالبهم أن يعدلوا الكفة .. وأن يوازنوا بين اهتمامهم بالرأي وبين اهتماماتهم بالأغراض الصحفية الأخرى ، وهو مطلب غير عسير .. إذ كل ما يتطلبه بعض اهتمام فحسب !!

ولا ينبغي أن تفوتني الاشارة — في هذا الصدد — إلى ناحية مهمة جدا .. لاشك أن رؤساء التحرير يعانون منها كل المعاناة .. وهي قلة الكتاب الجيدين القادرين على إبداء الرأي ، وعلى الالتزام بالكتابة بالصورة التي تتطلبها أوضاع العمل الصحفي والتزاماته مع المطابع .. الخ .

وهذا حق .. فلقد انصرف الكثير من الكتاب الذين يملكون الرأي .. ويقدرون مدى الالتزام في الكتابة للصحف .. انصرفوا إلى أعمالهم الأخرى .

ولربما — أقول ربما — كان من ضمن أسباب انصرافهم عدم اهتمام الصحف نفسها بقيمة الرأي .. أو ربما كان من ضمن الأسباب أيضا أن الكاتب الجيد يجد نفسه — في بعض الصحف — وسط حشد من الكتاب غير الجيدين فكان لابد أن يربأ بنفسه .. أو أن العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة .. كما يقولون في لغة الاقتصاد ؟!

١٤٠٣/٩/٧ هـ

العتابي .. الشاعر المطبوع

أذكر أنني كتبت عن العتابى (كلثوم بن عمرو العتابى) بحثا من خمس صفحات فى مجلة المنهل عام ١٣٨٣ هـ أي منذ عشرين عاما[1] .ولا أذكر انني قرأت لأي من كتابنا أي موضوع قط عن هذا (العتابي) !

ولربما يكون هناك من كتب عنه .. ولكنني لم أطلع على شيء من ذلك رغم أنني منذ ربع قرن تقريبا ، شديد المتابعة لما ينشر في صحفنا ومجلاتنا ..

ولكن مساء أمس .. كنت في زيارة لأخي الأستاذ هاشم عبده هاشم .. وكعادتي في (لطش) أي جديد على مكتبه ، وجدت هذه المرة العدد الجديد من مجلة (الفيصل) ولم أكن قد أطلعت عليه .. ثم وأنا أتصفحه عثرت على موضوع مطول بعنوان (العتابي الشاعر المطبوع) فذهلت !

ذهلت بخاصة لأن الموضوع بقلم الفريق (يحي المعلمى) .. وربما لو كان الموضوع للأستاذ عبد العزيز الرفاعى — مثلا — لما ذهلت أو دهشت .. فقد اشتهر الأستاذ الرفاعى وأمثاله بالبحث والتنقيب عن الشوارد .. ولاشك أن موضوعا يكتب عن (العتابي) يعتبر من الشوارد حقا لأن العتابي — رغم شاعريته المتميزة -يكاد يكون في عداد المغمورين ..

ولذلك فالكتابة عنه في حد ذاتها تعتبر لفتة نابهة جدا من الفريق المعلمي — ولا أهدف إلى الثناء الضمني على نفسي كما يعلم الله لأنني سبقت المعلّمي إلى ذلك منذ عشرين عاما —

قلت إنها لفتة نابهة جدا أن يكتب الفريق المعلمي عن العتابي بالذات .. ذلك أننا نعلم أن الفريق المعلمي رجلا عسكريا من رأسه إلى أخمص قدمه ..

---

(١) راجع كتابنا (سنابل الشعر) .

ولست أدري كيف اشتملت بذلته ــ مع ذلك ــ على أديب ذواقة مرهف الحس ، شديد الولع بالشعر والأدب ؟!

وليس أشد ولا أوضح برهانا على ذلك من هذه الالتفاتة الرائعة نحو (العتابي) الذى لا يكاد يذكر !!

وليست هذه أول مرة يذهلني .. أو يدهشني فيها الفريق يحي المعلمي .. فانني أذكر أنه منذ سنوات ، وكنت أحرر صفحة (أدب وأدباء)في جريدة البلاد .. فاجأني المعلمي برسالة تقطر أدبا وذوقا وترفا فكريا .. ولم أكن أعرف ــ حينذاك ــ مدى ولع المعلمي بالشعر والأدب .. فكان أسلوبه الأدبي الرائع في تلك الرسالة هو أول سبب من أسباب تعرفي على (المعلمي) الأديب !

كم أتمنى على الصديق الأستاذ علوى طه الصافى رئيس تحرير مجلة الفيصل أن يقود فريق الكتاب والمحررين في مجلته ــ فى محاولة عسكرية ــ لاجبار الفريق المعلمي على أن يكتب موضوعا لكل عدد من أعداد الفيصل !!

وإنني لا أشك أن أي موضوع يكتبه المعلمي .. سيكون موضوعا شرودا في بابه !

١٤٠٢/٩/٩ هـ

نقد أصول الشيوعية

كنت كثيرا ما أبدي عجبي ودهشتي أزاء عدم مشاركة علمائنا بالكتابة في كثير من الشئون العامة التى تستحق الخوض فيها بالحجة والرهان ، وعلى أساس من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .. وهم على ذلك وبذلك أقدر ، وبه أخبر !

ولكن ـــ وهذا هو العجيب حقا ـــ إننا لا نكاد نجد من علمائنا ومشائخنا المشاركة الصحيحة الفعالة .. اللهم إلا فيما ندر .. وفي مناسبات قليلة جدا .. الأمر الذى كان ـــ وما يزال ـــ يثير دهشتي واستغرابي !

ولكن يبدو أن جيلا جديدا من علمائنا ومشائخنا من أمثال الشيخ (صالح اللحيدان) قد أدركوا ما لهذا الجانب من أهمية كبرى فتوالت مشاركاتهم المتواصلة الفعالة عبر مختلف وسائل الاعلام لدينا .

مشاركات ذات أسلوب عصري ، ومنهج واقعي .. مما لفت الأنظار .. وجعل للشيخ (صالح اللحيدان) مكانة مرموقة بين أوساط مختلفة من القراء والمستمعين .

وإنني ـــ منذ أمد ـــ أتابع باهتمام خاص ما يكتبه وينشره ويذيعه الشيخ صالح اللحيدان .. فأرى فيه الأمل في جيل جديد من علمائنا ومشائخنا ممن يتلمسون مختلف جوانب حياتنا .. ويعالجون ما يستحق المعالجة منها بالرأي الصائب ، والقول السديد ، والأسلوب الذي يفهمه عامة الناس وخاصتهم .

وهذا الدور الذي يضطلع به الشيخ (صالح اللحيدان) وأمثاله .. هو الدور الذى يفترض الاضطلاع به من قبل جميع علمائنا ومشائخنا .. ونرجو أن يكون ذلك كذلك فى قابل الأيام .

ولذلك لم يدهشني أن أتلقى من الشيخ اللحيدان بالذات كتابه (نقد أصول الشيوعية) ولكن الذي أدهشنى حقا أن أتلقى ـــ مع الكتاب ـــ رسالة

منه تنم عن متابعة دقيقة جدا لما ينشر في صحافتنا منذ أمد بعيد .. ولم أكن أظن أن مثل الشيخ اللحيدان يمكن أن يهتم بموضوعات النقد والأدب .. وأن يصل اهتمامه إلى حد أنه يذكرني بمعارك أدبية كنت طرفا فيها .. أو كنت مثيرا لها منذ سنوات عديدة .. ثم يشير أيضا إلى أحدث هذه المعارك الأدبية التى مازالت محتدمة .. مشتعلة الأوار !!(١)

وقلت : لم يدهشني صدور كتاب للشيخ اللحيدان عنوانه : (نقد أصول الشيوعية) فمثله وأمثاله من أولى الناس وأجدرهم بالتصدي لمثل هذه الموضوعات .. وإنما الذي كان يدهشني حقا .. هو عدم تصدي علمائنا ومشائخنا لأمثال هذه الموضوعات على خطرها .. وعلى مساسها المباشر بصميم رسالة كل عالم مسلم .

ولم يدهشني ـــ كذلك ـــ الأسلوب المنهجي الحديث الذي عالج به الشيخ موضوعه هذا .. وهو أقرب إلى أساليب الأدباء منه إلى أساليب الفقهاء .. أو هو المزيج بين رصانة الفقهاء وسلاسة الأدباء .. فذلك هو المعروف عن الشيخ اللحيدان وأمثاله .

والمهم أنه هو الأسلوب الصحيح الذى يمكن مخاطبة الناس به .. ومن ثم اقناعهم .. وذلك هو مطلبنا من علمائنا والمشائخ .. وهو مطلب غير عسير .. ولكن لن يتسنى لأيّ عالم من علمائنا تحقيق مثل هذا المطلب ما لم يكن متابعا متابعة دقيقة متواصلة لما ينشر ويذاع لدينا .. أو من حولنا فى العالم .. دون أن يكتفي بمسائل محدودة في إطار معين .

وتحية خالصة مخلصة للشيخ صالح اللحيدان .. ولنا بعد لقاء إن شاء الله .. وشكرا له على هديته .

١٤٠٢/٩/١١ هـ

---

(١) المقصود : معركتى الأدبية مع العقيلى حول كتابه (المخلاف السليمانى) .

جناية (التليفزيون) على الأدب

○○ عندما كانت الصحافة العربية ــ ومن ضمنها صحافتنا هنا ــ هي الوسيلة الأولى لنشر الأدب والثقافة اضطرت ــ أي الصحافة ــ إلى استقطاب الأدباء للكتابة فيها ..

والمعروف أن الكتابة الأدبية تحتاج إلى الكثير من الأناة والمعاناة وطول البال .. وهو الأمر الذى يتعارض مع التزامات الصحافة بمواعيد محددة مع المطابع التي تلتهم الأخضر واليابس .. فكان لابد من مطالبة الأدباء الكتاب في الصحافة بالسرعة .. ثم السرعة في تقديم مقالاتهم ..

وتجاه هذه السرعة المطلوبة باستمرار اضطر الأدباء إلى احتراف مهنة (سلق البيض) فكان لابد من هبوط المستوى الأدبي عند كثير من الأدباء الكبار .. وهي الظاهرة التى أطلق عليها حينئذ تسمية (جناية الصحافة على الأدب) !

وظلت هذه التسمية تتردد على أعمدة الصحف إلى عهد قريب .. ولعلها مازالت تتردد .

ولكنني لم أقرأ بعد شيئا عن جناية أخرى على الأدب .. أخطر بكثير جدا من جناية الصحافة .

تلك هي جناية (التليفزيون) على الأدب !!

وهي جناية ذات أبعاد مختلفة ومتعددة .. ولا تقتصر فقط على مستوى الأداء الأدبي كما هو الشأن في جناية الصحافة .. وإن كان مستوى الأداء الأدبي هو الضحية الأولى ــ بطبيعة الحال ــ للجناية الجديدة .. جناية التليفزيون !!

لقد أصبح (التليفزيون) من أهم أدوات إفساد الذوق الأدبي والفني .. ذلك لأن أوقات البث الطويلة من شأنها أن تلتهم من النصوص الأدبية والأعمال الفنية الشيء الكثير .. الأمر الذي اضطر معه المتعاملون مع التليفزيون من أدباء وفنانين ليس إلى (سلق البيض) فحسب . بل إلى تقديمه دون سلق .. وأحيانا لا يقدمون غير قشره حيث يكون قد تكسّر في الطريق إلى تقديمه !!

وكانت هذه فرصة عظيمة لأثرياء الحروب أن يدخلوا هذا الميدان الجديد بفيض من مخلفات المعارك والبضائع المزجاة .. فأصبحنا نشاهد في التمثيليات الكثير من التهريج وحركات القرود والنكات السمجة البايخة .

وهبطت الأعمال المسرحية نتيجة لتقديمها معلبة للتليفزيون .. كما هبطت قبل ذلك الأعمال السينمائية الجيدة نتيجة للمنافسة غير المتكافئة مع التليفزيون .

ولاشك أن المسئولين عن التليفزيون يحرصون على تقديم أعمال جيدة .. ولكن لا يسعهم — مع ذلك — غير قبول ما هب ودب وعم وطم .. فأوقات البث لا ترحمهم .. والأعمال الجيدة أقل بكثير من أن تملأ الفراغ .

وهكذا كان هذا الطوفان والغثيان وإفساد الذوق والجناية على الأدب وغير الأدب .. ولا حول ولا قوة إلا بالله .. !!

١٤٠٢/١٠/١٢ هـ

صرخات لامعتصم لها !

امرأة مسلمة واحدة .. لحقها الظلم أو الضيم ، وهي في بلدة بعيدة جدا عن عاصمة الخلافة الاسلامية .. ومع ذلك صرخت « وامعتصماه » !!

وبلغ الخليفة المعتصم خبر صرختها تلك .. فماأسرع ما جهز جيوشه حتى دكت جحافلها حصون تلك البلاد البعيدة وأخضعتها لسلطان الخلافة الاسلامية وأخذت بثأر تلك المرأة الوحيدة !!

وهي قصة مشهورة معروفة بحيث لا نحتاج إلى إيرادها بالتفصيل . !

أما الآن .. فياترى كم عدد النساء الصارخات في لبنان أو في أفغانستان أو في غيرهما ؟!

لاشك أنها صرخات كثيرة جدا بحيث تفوق أي حصر .. ولكن لا معتصم لها .. فهل ماتت حقا الغيرة الاسلامية .. واندثرت نخوة العروبة ؟!

أم أن الغيرة أو النخوة لم تعد تعني في قاموسنا العصري ما كانت تعنيه في زمن المعتصم ؟!

إن المسلمين اليوم أكثر منهم في أي زمن مضى .. ولكنها الكثرة التي عناها الرسول ﷺ بقوله : (غثاء كغثاء السيل) !!

وما يقال عن الاسلام والمسلمين يقال عن العرب والعروبة بطبيعة الحال !!

ولكن أين هو الاسلام .. وأين هي العروبة ؟

الاسلام بدون غيرة إسلامية لا يكون إسلاما بمعنى الكلمة !

والعروبة بغير نخوتها المشهورة ليست عروبة !!

أفنكون قد فقدنا عروبتنا وإسلامنا بكل هذه البساطة .. أم هوتغير الزمان والأحوال ؟!

ولكن أي زمن وأية أحوال تلك التي تجعل العربي يفقد نخوته أو تجعل المسلم يفقد غيرته وهو يسمع الصرخات من كل مكان .. ثم لا يحرك ساكنا ، ولا تكاد تهتز له شعرة ؟!

لقد ضربت لنا بريطانيا غير العربية وغير المسلمة مثلا كبيرا حين احتل مركزا لها فى (فوكلاند) لا يزيد عدد أفراده عن عشرين شخصا .. أسرتهم القوات الأرجنتينية فهبت بريطانيا هبة رجل واحد وجندت كل امكانياتها لاستعادة الجزر واستعادة كرامتها وكرامة أفرادها الأقل من عشرين شخصا ، هذا وبريطانيا لا حق لها في تلك الجزر ..

هذا وبريطانيا مضعضعة الاقتصاد .. مهزوزة القوة .. خائرة العزيمة .. ولكن كل هذه الأسباب وغيرها لم تثنها عن الانتصار لكرامتها كما هو المفروض !!

فأين أنت أيها المسلم ..وأين أنت أيها العربي عن هذا المثل القريب جدا ، ودعك من ذلك المثل القديم .. مثل المعتصم .. يقول الشاعر :

رب وامعتصماه انطلقت ملء أفواه الثكالى اليتّم
لامست أسماعهم لكنها لم تلامس نخوة المعتصم

١٤٠٢/١٠/١٤ هـ

رسائل المسؤولين !

كنت أقوم هذه الأيام بترتيب بعض أوراقي .. ومن ضمنها رسائل عديدة تلقيتها من أصدقاء وأدباء ومسؤولين فخطر لي أن أصنف هذه الرسائل فأجعل رسائل الأصدقاء غير الأدباء وغير المسؤولين على حدة ، ورسائل الأدباء على حدة ، وأخيرا رسائل المسؤولين .. وذلك لتسهيل الرجوع إلى أية رسالة أريدها حين أريدها .

وعندما انتهيت من هذا التصنيف فوجئت مفاجأة كبيرة بضخامة عدد رسائل المسؤولين إلى شخصي الضعيف ، وهي في معظمها تعقيبات على بعض ما أكتب وأنشر مما يتعلق بمسؤوليات أولئك المسؤولين .

وكان هذا العدد الضخم من الرسائل هو الذى قدر لي الاحتفاظ به فقط .. أما الكثرة الكاثرة من هذه الرسائل فهي التى فقدت مني حين كنت أدفع بتلك الرسائل مع تعليقي عليها إلى المطبعة رأسا فأفقد الأصل .. ولم تكن آلات التصوير متوفرة قبل سنوات كما هو الشأن الآن !

ورغم ذلك فقد بقيت عندي هذه المجموعة الكبيرة من رسائل المسؤولين ، وهي مجموعة كبيرة لأنها على مدى أكثر من ربع قرن .. هو عمري في الكتابة للصحف والمجلات في بلادنا !!

وخطر لي مرة ثانية أن أقرأ هذه الرسائل فهالني حقا أن أخرج من قراءتها بنتيجة على جانب كبير من الأهمية .. وهي أن الكثير من المسؤولين في بلادنا لا يغضبون ولا ينزعجون من النقد الصادق المخلص والموجه إلى أعمالهم ومسؤولياتهم .. كما هو الأمر الشائع عندنا .. أمر شائع حقا ولكنه غير صحيح فى مجمله وإن كان لا يخلو من صحة في بعض تفاصيله .

لقد وجدت في بعض هذه الرسائل التى أحتفظ بها من مسؤولين كبار .. بعضهم لم يعد في مركزه .. وبعضهم مازال في مركزه يتألق يوما بعد يوم .

وجدت في هذه الرسائل رقة ونعومة وتهذيب ورغبة صادقة مخلصة في شرح وإيضاح الحقائق أو الاعتراف صراحة بوجاهة بعض الملاحظات والوعد بالعمل على تنفيذها !!

وتمنيت من أعماق نفسي أن أعيد نشر هذه الرسائل أو نماذج منها رغم أنها قد نشرت في حينها .

تمنيت أن أعيد نشر نماذج من هذه الرسائل لا لشيء إلا لأؤكد لأولئك القائلين من كتابنا بأنهم يتجنبون كتابة النقد لأن المسؤولين يضيقون ذرعا بكل نقد يوجه إليهم .

ومن العجيب إنني شخصيا ممن كرروا هذا القول نفسه .. ولكن قراءتي لمجموعة الرسائل إياها أدهشتني حقا .. وكأنني لم أقرأها من قبل !!

نعم لقد قرأتها .. ولكنني قرأتها متفرقة على مدى سنوات عديدة .. أما الآن فقد قرأتها جملة فوضعت يدي على هذه الحقيقة .. حقيقة أنه ليس كل المسؤولين في بلادنا يضيقون بالنقد .. بل على العكس .. هناك من المسؤولين من يرحب بالنقد ويشجع عليه ويذوب رقة ولطفا وهو يجيب عنه !!

١٤٠٢/١٠/١٧ هـ

الدنيا في علبة !

كنت في طفولتي أظن أن حدود الدنيا تنتهي عند شعاف الجبال من الشرق (سلسلة السراة) وتنتهي من الغرب عند البحر الذي كنت أسمع عنه ولم أره !!

ولكن بعد ذلك .. وفي أيام التلمذة المبكرة عرفت عن طريق الدروس الابتدائية في الجغرافيا أن حدود الدنيا أوسع مما كنت أظن .. ولكنني لم أكن أفهم أو أهضم معنى تلك السعة !

ثم كبرت ، وفهمت — من ضمن ما فهمت — أن الدنيا أوسع بكثير جدا مما كنت أظن ، ومما درسته في الجغرافيا أيضا !!

ثم فهمت بعد ذلك معنى أن يكون العالم واسعا ، ولابد أن يكون واسعا . وإلا كيف يمكن أن يحتمل (هتلر) و (تشرشل) وغيرهما ممن لا تتسع أضعاف مساحة الكرة الأرضية لمطامعهما ومطامحهما ؟!

ولكن بعد أن ذهب (هتلر) ولحقه (تشرشل) ولحقتهما معا تلك المفاهيم الاستعمارية القديمة .. جاءت بعد ذلك مفاهيم مختلفة للأطماع الاستعمارية .

مفاهيم جديدة تماما .. لم يعد هدفها الأرض نفسها .. بل خيرات الأرض وثرواتها .. ولكن جاء مع هذه المفاهيم الجديدة تقدم علمي هائل .. لو أدرك خطره رجال السياسة منذ بدايته لحالوا دونه بكل تأكيد !!

ذلك أن هذا التسابق العلمي الهائل لم تعد تسعه الأرض حتى تطاول إلى أجواز الفضاء .

ثم وأنا أتابع أخبار هذا التسابق العلمي الهائل بين الدول المتقدمة .. عدت من جديد إلى أيام طفولتي !!

عدت أرى الدنيا ضيقة جدا لا تبعد عن البحر غربا ولا عن الجبال شرقا ، بل أصبحت أصغر وأضيق بكثير من ذلك .

إن علبة صغيرة مملوءة بعدد من أشرطة الفيديو كاسيت يمكنها أن تسع العالم بأسره !!

وإذن لقد ضاقت الدنيا حتى لأصبحت تسعها علبة .. هذا ونحن لم ننته بعد من القرن العشرين !

ولقد ضاقت الدنيا إلى حد أننا نسمع بأخبار جزر (فوكلاند) قبل أن نسمع بأخبار افتتاح (سد نجران) مثلا !!

وإذ فقد كنت على حق في رؤيتى للدنيا أيام طفولتى أكثر مما أنا على حق في رؤيتي لها بعد ذلك !!

وأشعر أنه لابد أن يتبع هذا الضيق الشديد في الدنيا ، ضيق شديد آخر جديد في أفق السياسة !!

ما أدرانا مثلا أن (كارتر) أو (بريجنيف) أو غيرهما من كبار قادة الدنيا .. يفكر كل واحد منهم على حدة بأن يضع الدنيا كلها فى علبة صغيرة ليصطحبها معه إلى المريخ بعد ذلك ؟!

ولو حدث ذلك حقا ، وهو غير بعيد .. فياترى أين سيكون موقع قريتى من تلك العلبة ؟!

قريتي التى كنت أرى الدنيا منها واسعة تصل إلى حدود الجبال شرقا .. وتنتهى إلى البحر غربا ؟!

لاشك أننا في عصر (طوفان) التقدم العلمي !!

جريدة الشرق الأوسط ١٩/١٠/١٤٠٢ هـ

من هم العقلاء ؟

بهلول المجنون .. شخصية ظريفة من شخصيات الأدب العربي القديم .. له نوادر وطرائف تضحك الثكلى !

وله مع ذلك كلمات هي عين العقل والحكمة !!

أليس قد قيل : خذوا الحكمة من أفواه المجانين ؟!

قيل لبهلول هذا : عدّ لنا المجانين .

قال : هذا يطول .. ولكني أعد العقلاء !!

والمعنى واضح بالطبع .. وهو أن المجانين بين الناس أكثر بكثير مما يظن هؤلاء الناس أنفسهم .. وأن العقلاء الحقيقيين هم من القلة بحيث يمكن عدهم على الأصابع .

كان هذا فى زمن بهلول المجنون .

أما لو كان بهلولا من أبناء عصرنا هذا .. فاننى أعتقد أنه لو سئل السؤال نفسه لأجاب بأن العقلاء الحقيقيين هم « فقط » نزلاء المستشفى المعروف بالطائف !![1]

ذلك لأنه فى عصرنا هذا قد اختلت الكثير من المقاييس التى يعرف — عن طريقها — من هو المجنون ومن هو العاقل حقا !!

أما نزلاء مستشفى الطائف فهم خارج هذا الاختلال في المقاييس .. ومن ثم يمكن الحكم لهم بأنهم عقلاء فعلا لأنهم — على أقل تقدير — يعترفون بجنونهم

---

(١) الاشارة هنا إلى مستشفى (شهار) بالطائف ، وهو مستشفى خاص بالأمراض العقلية والنفسية والعصبية .. أى (مستشفى مجانين) !!

بدليل وجودهم في مستشفى للمجانين !! وهذا عين العقل ومنتهى التواضع !!

أما المجانين خارج المستشفى فانهم لا يعترفون بجنونهم .. ومن ثم يصعب حقا تمييز العقلاء من بينهم .

وهكذا فان كاتب هذه السطور مثلا — حتى لا نتكلم عن الغير — لا يمكن اعتباره عاقلا لمجرد كونه يكتب زاوية يومية في صحيفة سيارة .. بل ربما كان هذا السبب بالذات دليل جنونه وليس — بالضرورة — دليل عقله !!

والله أعلم على كل حال !!

ولكن الذي لاشك فيه أن « الجنون فنون » .. أي أن درجات الجنون تتفاوت بين شخص وآخر كما هي طبيعة الأشياء .. والعكس يصح أيضا !!

ذلك معروف بداهة .. ولكن المشكلة هي — كما أسلفت — اختلال المقاييس التي يمكن بواسطتها معرفة درجات هذا التفاوت في الجنون أو العقل .. وإذا اختلت المقاييس نفسها بطل القياس بالضرورة !!!

ولعل أكبر دليل على ما زعمته من اختلال المقاييس هو أن معظم الأطباء النفسيين الذين يفترض فيهم القدرة — أكثر من غيرهم — على تمييز العقلاء من المجانين هم أنفسهم من أكثر الناس هلوسة ووسوسة وشرود ذهن !

ومن لا يصدقني .. فليتعرف على أقرب طبيب نفسي ، وسيجده حتما « مصابا » بأكبر قدر من الأمراض النفسية !!

فهل بعد ذلك يمكن أن أكون أنا المجنون فقط لمجرد أنني أكتب هذه الزاوية مثلا ؟!

اسألوا أنفسكم !!

١٩/١٠/١٤٠٢ هـ

المتكلمة بالشعر في السياسة !

•• يذكر القراء طبعا قصة تلك المرأة التى لم تكن تتكلم بغير القرآن .. فهي قصة أو حكاية مشهورة جدا .

هذه الأيام عثرت بالصدفة على امرأة لا تتكلم بغير الشعر ، وهي تحفظ الكثير جدا من الشعر فما أسهل ما تجيب على أي سؤال يوجه إليها ببيت أو أبيات من الشعر القديم والحديث .. ثم هي امرأة على جانب لا بأس به من الاطلاع على مجريات الأمور والأحداث[1] .

سألتها مثلا عن رأيها في بسالة المقاومة الفلسطينية وصمودها واستماتتها في وجه الغزو البربري الاسرائيلي .. قالت :

وإذا لم يكن من الموت بد فمن العار أن تموت جبانا

قلت لها .. وما رأيك في مواقف الدول العربية ، وخاصة تلك التي كانت تزايد على القضية الفلسطينية .. ثم هي تقف الآن موقف المتفرج بعد أن سقطت عنها كل الأقنعة .. قالت :

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب

قلت لها .. ولكن أليس هناك من أمل في أن تجتمع كلمة الأمة العربية وتتوحد صفوفها .. قالت :

وإن الذى بيني وبين بني أبي وبين بني عمي لمختلف جدا

---

(١) هذه المرأة من خيالى طبعا ، وليست حقيقة !!

قلت لها .. ولكن ما هو العمل فى رأيك ، وكيف يمكن للأمة العربية أن تنتصر على أعدائها وتحقق آمالها وأمانيها فى حياة كريمة .. قالت :

وما نيـل المطـالب بالتمنـــي ولكــن تدرك الدنيـا غلابـــا

قلت لها .. لو كنت فلسطينية ماذا كنت فاعلة ؟.. قالت :

سأحمل روحـــي على راحتـــي وألقى بها فى مهاوي الـردى
فامـا حيـــاة تسر الصديـــق واما ممات يغيـظ العـدا[1]

قلت لها .. وما رأيك في الموقف الأمريكي حين يزعم صداقته للعرب أو لمعظمهم .. ثم يرسل عليهم وسائل الدمار والخراب ويقف موقف المتفرج .. بل المحرض .. قالتْ :

ومن البلية عذل من لا يرعوي عن جهله وخطاب من لا يفهم

قلت لها .. وما رأيك فى موقف الاتحاد السوفيتى أيضا حين يزعم مناصرته للفلسطينيين .. بل ولجميع حركات التحرير في العالم .. ثم عندما يجد الجد لا يكون شيئا قط مما يزعمه لنفسه .. قالت :

جزى الله المصائب كل خير عرفت بها عدوي من صديقى

قلت لها .. دعينا في النهاية من كل ذلك .. ما رأيك فى الاعلام العربى ؟! .. قالت ..

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

٢٠/١٠/١٤٠٢ هـ

---

(١) البيتان للشاعر الفلسطينى الشهيد عبد الرحيم محمود .

قتل الكلاب دون ألم !

•• كثيرا ما سمعنا .. بل حفظنا تلك العبارة الدعائية الشهيرة (الولادة من غير ألم) .. أما الآن فيبدو أننا فى طريقنا إلى حفظ عيارة أخرى مشابهة أو رديفة .. وهي (قتل الكلاب دون ألم) !!

ولا يظن القارىء انني هنا فى مقام هزل كعادتي في بعض ما أكتب .. بل هو الجد .. واقرأوا معي هذا الخبر :

« جدة ــ تقوم أمانة مدينة جدة حاليا بحملة كبيرة للقضاء على ظاهرة انتشار الكلاب فى أحياء المدينة ــ هذا وتستخدم الأمانة طريقة جديدة في التخلص من الكلاب تتلخص في اصابة الحيوان ببندقية خاصة تطلق إبرة تحتوي على سموم سريعة الفعالية تؤدي إلى موت الحيوان خلال ثوان قليلة دون إحداث ألم » !!

وصلب الخبر هنا ليس هو قتل الكلاب الضالة أو المسعورة .. فذلك هو ما يحدث منذ زمن وتمارسه جميع البلديات في المملكة .. ولكن الجديد هو (القتل دون ألم) !!

ما شاء الله .. تبارك الله !!

منتهى العطف والرقة والحنان !!

ميتة هانئة حقا .. تنعم بها الكلاب .. ولا يستطيع الانسان أن يحلم بمثلها !!

لا أقصد الانسان في لبنان .. أو في أفغانستان .. أو في أي موقع من مواقع الحروب .. بل أقصد الانسان العادي في مواقع السلم والذي يموت بصورة

طبيعية تماما .. ولكنه رغم ذلك لابد أن يتجرع الكثير من الآلام .. ليس أدناها معاناة سكرات الموت وحشرجات النزع الأخير .. فلا يلفظ أنفاسه إلا وقد زهقت روحه عشرات المرات .. ولا اعتراض على ذلك .. فتلك سنة الله في خلقه .

ولكن أليس مما يثير حسد الانسان أن ينعم الكلب بموت أفضل منه ؟!

كنت أسمع منذ مدة عن وجود جمعية للرفق بالحيوان في جدة .. ولابد أن هذه الجمعية ماتزال موجودة .. ولابد أنها هي التى قامت بالتنسيق مع أمانة جدة على توفير مثل هذه الميتة الكريمة للكلاب .. أو أن الأمانة — من عندياتها — قد هالها ما يحدث في الكرة الأرضية من مجازر بشرية حرقا وغرقا في الأرض والبحر والسماء فأرادت أن تكون طريقتها في قتل الكلاب طريقة أكثر إنسانية من قتل الانسان لأخيه الانسان !!

مهما يكن من أمر . فان الخبر لافت للنظر حقا .. وأكثر ما فيه إثارة للدهشة هو أن صانعي وتجار السلاح في العالم قد ابتكروا للكلاب أو الحيوانات سلاحا في منتهى الرقة والنعومة والانسانية .. بينماابتكاراتهم لأسلحة قتل الانسان في منتهى الفظاعة والبشاعة والجهنمية .. فهل هذا من المنطق في شيء ؟!

ألم يكن الانسان — إذا كان ولابد من قتله — أجدر بهذا السلاح الناعم الذي يقتل .. ولكن دون ألم ؟!

ولا بأس أن يكون السلاح نفسه لقتل الكلاب أيضا .. فتكون المساواة عادلة بين الانسان والكلب المسعور ؟!

اللهم إننا في زمن قد انقلبت فيه المقاييس ولاشك أنها النهاية .. أو بوادر القيامة ..

اللهم لطفا !!

٢٢/١٠/١٤٠٢ هـ

صحافة المكاتب

قبل بضعة أشهر .. كنت في بيروت .. وقد نزلت في « فندق الكومودور » ففوجئت بأن معظم نزلاء الفندق هم من رجال الصحافة الغربية ومندوبي وكالات الأنباء العالمية .

وقد عرفت ذلك منذ الوهلة الأولى عندما كان موظف الاستقبال يتصفح جواز سفري فيجد في خانة المهنة .. « صحفي » فظن انني جئت من السعودية لتغطية الأحداث مثل غيري من أولئك الذين يعج بهم الفندق ، ففرح بي ذلك الموظف فرحا مستطيرا وهو يقول لي :

إنك أول صحفى عربي يصل إلى هنا للمشاركة في تغطية الأحداث .. إن معظم نزلائنا من رجال الصحافة ومندوبي وكالات الأنباء .. وهم كثرة كثيرة .. ولكن ليس بينهم أي عربي ؟!

ثم وهو فى غمرة الترحيب والتسهيل بشخصي الكريم .. لم أجد من الذوق أن أصدمه بالحقيقة .. وهي إنني لم أعد صحفيا .. وأن المهنة المثبتة في جواز سفري هي باعتبار ما كان وليس باعتبار ما هو كائن الآن !!

وإنني من ثم لم أحضر للمشاركة في تغطية صحفية وإنما حضرت لعمل يخصني شخصيا !!

لم أجد من الضرورة أن قول له كل ذلك .

ولكنه تمادى في الترحيب بي .. وفي عرض خدماته حتى أنه عندما اكتشف إنني لا أجيد الانجليزية تبرع على الفور بايجاد مترجم .. بل زاد وعرفني على مندوب وكالة أنباء عالمية يجيد العربية لأنه من أصل لبناني .

ودعونا من المفارقات المضحكة التى حدثت بعد ذلك .. واتركونا في المهم !

وهذا المهم هو أنني عقدت صداقة فورية مع اللبناني مندوب الوكالة العالمية إلى حد أنه كان يقضى معظم وقته في غرفتي .. ويفبرك أخباره ويرسلها من عندي بعد أن يطلعني عليها أولا بأول .. ولشد ما أدهشني أنه كان يصنع الكثير من أخباره من واقع نشرات وكالات الأنباء العالمية التي كان يطلع عليها في الفندق أولا بأول .. وكل ما هنالك أنه يعيد صياغتها !!

أكثر من ذلك أنه كان يصنع بعض الأخبار من خياله .. ولكن ليس من خياله تماما .. بل على بعض من واقع ..

وقد تأكدت من ذلك عندما كتب خبراً عن مظاهرة صغيرة جدا أتيح لنا أن نشاهدها معا من شرفة غرفتي بالفندق ، فما لبث أن كتب عنها خبرا صاعقا مهولا لم يكن من الحقيقة في شيء .

وعندما أطلعني على الخبر قبل ارساله .. قلت له : ولكن الحقيقة — ياصديقي — غير ذلك .. لقد شاهدناها معا !!

فهل تدرون بماذا أجابني ؟

لقد طعن قبل كل شيء فى مقدرتي الصحفية حيث لو كنت صحفيا بحق لعرفت أن الشغل « هيك بدّه » !!

وعندئذ فقط أدركت من هو الضحية لكل هذا .. إنه القارىء المسكين الذى يصدق أخبار الوكالات المحترمة !! وهي نفسها مصدر صحافة المكاتب !!

٢٧/١٠/١٤٠٢ هـ

خطورة القراء !

أشرت في كلمة سابقة إلى ما معناه أن القراء أو بعضهم — على الأقل — قد أصبحوا أكثر وعيا من الكتاب .. وقلت أن هذا هو عكس المفهوم السائد ..

وأزيد اليوم فأقول إنني قد أدركت من خلال مناقشاتي مع بعض القراء أنهم قد أصبحوا خطرا على الكتاب وليس أكثر وعيا منهم فحسب !!

ذلك أن بعض القراء عندما يقرأ أحدهم موضوعا بذاته يكون — ربما — يملك من المعلومات عن ذلك الموضوع أكثر مما كان يملكه الكاتب نفسه !!

وهاهنا مصدر الخطورة .. حيث المفروض في الكاتب أنه عندما يعالج أي موضوع يكون على علم واسع بخلفيات ذلك الموضوع وأبعاده وأطرافه ..

ولكن الحقيقة أن الكثير من كتابنا الأكارم كثيرا ما يعالجون موضوعات دقيقة .. ولكنهم لا يملكون المعلومات الكافية عنها فتكون موضوعاتهم أكبر منهم ومن أقلامهم !!

هذا بالنسبة لكتابنا الأكارم ..

أما كاتب هذه السطور فهو أحرى من غيره بالوقوع في أمثال هذه المزالق والمخاطر !!

لقد جمعتني المناسبات الكثيرة في الأيام القليلة الماضية بعدد من هؤلاء « القراء الخطرين » فشعرت — كما لم أشعر أبدا من قبل — بمدى خطورتهم عندما كانت تصل مناقشاتهم لبعض موضوعاتي إلى أبعاد لم تخطر لي على بال ،

وحين كانوا يضيفون إلى معلوماتي ، معلومات مهمة جدا لم تكن في ذهني !!

إنني أكتب في صحفنا ومجلاتنا منذ أكثر من ربع قرن .. وكنت اجتمع بالكثير من الناس .. وأستمع إلى الكثير من المناقشات والآراء .. ولكن لم أشعر أبدا بمدى الخطورة التى يشكلها القراء كما شعرت بها في هذه الأيام !!

لقد تغير القراء حقا .. والعجيب أن الكتاب لم يتغيروا بما يتناسب مع التطور الثقافي لقرائهم.. بل ظلوا ــ أي الكتاب ــ يراوحون في مكانهم كما كانوا منذ كانوا ..

انني هنا لأقدم نصيحة خالصة لنفسى ولزملائي الكرام .. وما ذكرته عن (خطورة القراء) ليس غير جزء يسير من هذه النصيحة !

وإلا لو كان الأمر بيدي لجعلت من بعض القارئين كتابا .. وجعلت من جميع كتابنا مجرد قراء عاديين من ذلك النوع الذي كنا نعرفه منذ زمن .. والذي كانت تبهره مجرد وجود صورة الكاتب واسمه الكريم في صحيفة أو مجلة ..

كان للنشر أرجاً .. لم يعد له هذه الأيام .. فانتبهوا أيها الكتاب الأكارم !!

١٤٠٢/١١/١٥ هـ

أدعياء الأدب !

بعضهم يعتبر الأدب ترفا فكريا .. وبعضهم يعتبره ضرورة حياتية كالماء والهواء .. وبعضهم يعتبره مجرد زينة أو (ديكور) لمظهره الاجتماعي .. ودعك من الذين لا يعتبرونه أي شيء أصلا !!

وقد قيل ــ منذ القدم ــ ما معناه :

كفى شرفا للأدب أن يدعيه من يجهله ؟!

ولابد أن أقف قليلا عند هذا الاعتبار الأخير .. فهو عندي أقرب الاعتبارات واقعية وصدقا !!

فالذين يدعون للأدب ، وهم أجهل الناس به أكثر بكثير من الأدباء الحقيقيين .. بل أكثر بكثير ممن لهم أدنى اهتمام أو المام بالأدب الحق !!

ولكن ــ رغم كل ذلك ــ لم يعد الأدب وحده هو الذي يدعيه من يفقده أو يجهله .. فقد أصبحت هناك أشياء كثيرة أخرى يدعيها من يفقدها أو يجهلها .. ولكن هذه الأشياء لا تدخل في نطاق موضوعنا هذا عن الأدب .. فلنتركها وشأنها !!

لقد ظل الأدب يحتفظ بهذه الميزة .. ظل يدعيه من يجهله .. وإنك لتجد الأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى !!

ها هي صحفنا ومجلاتنا تنشر الكثير جدا لهؤلاء الأدعياء .. وتصدع رؤوس القراء بالكثير من الغثاثة والرثاثة باسم الأدب .: أو في الصفحات المخصصة للأدب ..

والعجب العجاب أن هؤلاء الأدعياء أشد تماسكا واخلاصا لبعضهم البعض من الأدباء الحقيقيين أنفسهم .. قد كوّنوا لأنفسهم ـ أي الأدعياء ـ تكتلات أدبية يسند بعضها بعضا .. ويقيمون لأنفسهم صروحا من الأمجاد الوهمية .. وتفيض أنهار الصحف والمجلات بدعاواهم وتشدقاتهم دون أن يجدوا من يقول لهم (ثلث الثلاثة كام ؟) .

لقد كان بودى أن أسألهم مثل هذا السؤال البسيط .. ولكن هذا السؤال ـ على بساطته ـ يتسع له مجال القول بحيث لا تسمح له مساحة هذه الزاوية فان شاء ربك أفردنا له مقالا مستقلا يكون عنوانه : (ثلث الثلاثة كام ؟) .

أما الآن فاننا نكتفي بالتلميح دون التصريح .. (واللي على راسه بطحة يحسس عليها) !

١٤٠٢/١١/١٧ هـ

القصيبي .. في قريتي !

كنت منذ أيام في زيارة خاطفة لقريتي (الجرادية) القابعة هناك في أقصى جنوب منطقة جيزان .. فوجدت معالى وزير الصناعة والكهرباء الدكتور غازي القصيبى .. قد سبقني هذه المرة إلى قريتي العزيزة !

فوجئت به هناك .. ليس هو بالضبط .. بل وجدت العمل على قدم وساق في تمديدات الشبكة الكهربائية في قريتي .. وهو الأمر الذى لم أكن أجرؤ على الحلم به .. بل كان الحلم نفسه لا يجرؤ أن يصل بي إلى هذا الحد !!

استوقفت السائق على مدخل قريتي .. ودون وعي تقريباً .. قلت له :

ما هذا ؟!

قال : هذه تمديدات الشبكة الكهربائية الجديدة التي تقررت لمدينة صامطة وما حولها من القرى ..

وكنت في الواقع قد علمت عن هذا المشروع .. ولكن العلم شيء .. ومشاهدة العمل على التنفيذ في قريتي بالذات شيء آخر !!

ووقفت أتطلع إلى العمال .. وهم يعملون !

كنت أرى في كل واحد منهم .. غازي القصيبي !!

آه ــ يا أبا يارا ــ ليتك تعلم شيئا عن ذكريات طفولتى مع النور والظلام في هذه القرية .. ليتك تعلم كيف كنت أذاكر دروسي في المساء ؟!

ليتك تعلم شيئا عن الرعب من حكايات الجن والعفاريت

و (أبو مشعل) .. وليس هناك ـ في الحقيقة ـ غير أوهام الظلام الذي كان يسود قريتي !!

ها هو النور يوشك أن يغمر قريتي .. وسيرحل الظلام وترحل معه كل تلك الأشباح الليلية التى كانت تتراءى لي أيام الطفولة في هذه القرية !

ليست الأشباح فقط هي التي سترحل مع الظلام .. هناك أشياء كثيرة سترحل أيضا !!

هناك أشياء في أذهان الناس البسطاء وفي عقلياتهم وأفكارهم .. ستذهب كل هذه الأشياء .. وسيبقى النور فقط !!

كم أتمنى أن أكون موجوداً في قريتي نفسها عند أول شعلة من نور بعد انتهاء العمل في هذه التمديدات .. ولابد ـ باذن الله ـ أن أكون موجودا حيث سأطلب من الصديق محمد العمري مدير الكهرباء في المنطقة أن يشعرني في (جدة) عن موعد بدء التشغيل .. أو عن بدء قهر الظلام في قريتي !!

وسأحضر خصيصا لأشهد رحيل جحافل العفاريت والأشباح والأوهام المعشّشة في الظلام .. ثم أشهد أيضا وهج النور في قريتي .. وأتذكر أيام الطفولة .. ثم أقول : شكرا يا دكتور غازي !!

انني أفكر منذ الآن في الهدية الرمزية التى ينبغى أن أقدمها لك باسم قريتي بهذه المناسبة العظيمة .. والمفروض أن تكون باقة من (الفل) الجازانى المشهور .. ولكنها لن تكون غير قبضة من ظلام هارب .. تهديها بدورك لأيّ متحف !!!

١٤٠٢/١١/٢٢ هـ

صعوبة الاختيار في القراءة

كنا في شبابنا نعاني ــ في مجال القراءة ــ من مشكلة كبرى .. هي قلة الكتب والمجلات والصحف التى كان يمكننا الحصول عليها .. وخاصة نحن أبناء المناطق النائية .. فكان أحدنا إذا وقع الكتاب أو المجلة أو الصحيفة في يده .. يستطير فرحا بذلك .. ثم لا يكون أكبر همه غير أن يقرأ ما حصل عليه من الغلاف إلى الغلاف .

وأذكر ــ في هذا الصدد ــ أنني شخصيا كنت أقرأ حتى الاعلانات في المجلات والصحف .. وكانت في معظمها اعلانات عن مناقصات حكومية لا ناقة لي فيها ولا جمل !!

ثم بعد ذلك .. وبعد أن توفرت ــ نسبيا ــ الكتب والمجلات والصحف .. كانت مشكلتنا مادية بحتة .. وهي أننا لا نستطيع شراء ما نريده من كتب وصحف ومجلات .. فكنا نلجأ إلى الاستعارة من بعضنا البعض أو من بعض كبار الأدباء !!

تلك كانت هي أهم مشكلاتنا مع القراءة في شبابنا .

أما شباب اليوم فاشفاقي عليهم لا حد له .. رغم أنهم لا يعانون من أية مشكلة من نوع المشاكل التي عانيناها .. بل إن مشكلاتهم مع القراءة هي العكس تماما من مشاكلنا السابقة .

إنهم تجاه طوفان من الكتب والمجلات والصحف .. ولديهم القدرة المادية على الشراء .. ولكن مشكلتهم تكمن في صعوبة اختيار ما يقرأونه من بين كل هذه الأكداس من المطبوعات .

وكلنا نعلم أن حسن الاختيار مسألة مهمة جدا لأي قارىء .. وتكون أكثر أهمية للقارىء الناشىء .. ولكن ماذا عساه يفعل هذا القارىء الناشىء في مسألة الاختيار هذه ، وهو لم يسبق له التمرس بأنواع هذه المطبوعات .. وأستاذه في المدرسة لا يوجهه في هذه الناحية .. ووالده ما بين جاهل أو منصرفا بكليته لأعماله ومشاغله ؟!

وهكذا أصبحت كثرة الكتب والمجلات والصحف مشكلة في حد ذاتها بالنسبة لشباب اليوم .. كما كانت قلتها أو ندرتها مشكلة بالنسبة لأيام شبابنا .. ولكنني لا أشك أن مشكلتنا كانت أرحم بكثير من مشكلة شباب اليوم .

نحن لم يكن أمامنا الخيار .. أما هم فمشكلتهم صعوبة الاختيار !!

نحن كنا نتلقى التوجيه من أساتذتنا .. أما شباب اليوم فلا يحصلون على مثل هذا التوجيه ، وخاصة في المراحل الدراسية الأولى !!

وقد قلت إنني أشفق على شبابنا من مشكلة صعوبة الاختيار .. ولكن الواقع إنني أشفق على نفسي وعلى جيلي أيضا .. فقد أصبحنا بدورنا لم نعد ندري ماذا نقرأ وماذا ندع .. ولم نعد نستطيع ملاحقة الاصدارات الجديدة في داخل المملكة فضلا عن خارجها .. فاذا كان هذا هو شأننا نحن رغم تجاربنا .. فكيف يكون الشأن بالنسبة للشباب ؟!

إنها مشكلة حقا !!

١٤٠٢/١١/٢٣ هـ

الجهل بصناعة الكتابة !

لشد ما كنت أشعر بالخجل من نفسي ، وأنا أقرأ هذه الأيام كتاب (صناعة الكتابة) تأليف الدكتور فيكتور والكل ، والدكتور أسعد علي .. وهو كتاب يستعرض في تلخيص مركز كل ما كتب عن صناعة الكتابة منذ كتاب (أدب الكاتب) لابن قتيبة إلى اليوم .. واضعا بذلك أصول صناعة الكتابة كما ينبغى أن تكون حقا .. فاذا هي فى حقيقتها أو في معظمها أبعد ما تكون عما نحن فيه معشر الكتاب .. وأبعد ما تكون عما أنا عليه بصفة خاصة ، رغم كوني محسوبا من الكتاب ، ورغم كوني قد أطلعت على جميع الكتب التى استند إليها هذا الكتاب واستقى منها مادته .

ولكن اطلاعي عليهاشيء ، ومدى استفادتي منها شيء آخر !!

لقد استفدت حقا من كل تلك الكتب .. ولكنني قرأت معظمها منذ زمن بعيد .. ولم تكن استفادتي منها كما ينبغى بطبيعة الحال ليس لجهلي أو غبائي المشهور فقط .. بل لأن هذه الكتب ، وخاصة القديمة منها .. تفترض في الكاتب أن يكون موسوعة شاملة كاملة متحركة .. وأنا شخصيا لا يمكن أن أكون كذلك .. فلم يسعني غير الاقلاع عن معاودة القراءة في تلك الكتب القاصمة للظهر !!

ولكن عندما عثرت على كتاب (صناعة الكتابة) ووجدت أنه حديث التأليف .. قلت في نفسي :

هاهو كتاب حديث في صناعة الكتابة .. يمكنك — ياعمير — أن تستفيد منه بصورة أفضل .. ويمكنك بالتالى أن تكون (كاتبا) بشكل أفضل أيضا !!

وفرحت حقا لهذا الخاطر .. ولكن ما أشدّ ما أصبت به من خيبة شديدة كلما تقدمت صفحة بعد صفحة في قراءة الكتاب .

لقد وضع بين دفتيه أصعب شروط أدب الكتابة في مؤلفات القدامى .. ثم أضاف عليها أيضا أصعب الشروط الحديثة .. فلم أنته من قراءته إلا بعد أن انسلخت من جلدي خجلا ، وخيبة أمل !!

لقد حاولت أن أضع لنفسي علامات وفقا لما وجدتنى أفهمه حقا من صناعة الكتابة .. ولكن عندما جمعت هذه العلامات ـــ على طريقة المدرسين ـــ وجدت أنها لا تؤهلني للكتابة في صفحة (بريد القراء) !

ثم خطر في بالي خاطر خبيث آخر ، وهو أن أضع علامات لبعض كتابنا وفقا لما أعرفه عن أساليبهم في الكتابة ومدى توافق هذه الأساليب مع شروط (صناعة الكتابة) فهل تدرون ماذا كانت النتيجة ؟!

لن أقول لكم بالتحديد .. ولكني أقول أنها نتيجة خففت عني الكثير مما شعرت به من خجل وضيق .. وعندما ارتاحت نفسي قليلا .. سارعت بدفن الكتاب المذكور بين حشد من الكتب ووطنت نفسي على تجاهله كل ما رأيته .. لا لشيء إلا لكي استمر محسوبا في زمرة الكتاب !!

٢٤/١١/١٤٠٢ هـ

نحن والمجلات الأسبوعية ؟

من الغريب حقا أن تكون لدينا كل هذه الصحف اليومية بصفحاتها العديدة وطباعتها الأنيقة .. ولا يكون لدينا من المجلات الأسبوعية غير (اليمامة) و (اقرأ) !!

وكان المفروض ــ وبخاصة في مثل بلادنا ــ أن يكون العكس تماما هو الواقع فلا تكون لدينا أكثر من جريدتين يوميتين قويّتين .. ثم يكون لدينا من المجلات الأسبوعية أي عدد معقول وممكن !!

إن للعمل الصحفي عدة أبعاد .. نذكر منها ــ على سبيل المثال ــ البعد الأول .. ثم البعد الثانى .

البعد الأول هو ملاحقة الأحداث اليومية محليا وعالميا بالخبر والصورة .. وهذا البعد بالذات تختص به الصحف اليومية .

أما البعد الثانى فهو الربط بين تلك الأحداث اليومية وتحليلها وتوسيع امكانية فهمها للقارىء .. وهذا ما تختص به المجلات الأسبوعية .

ذلك هو ــ بمنتهى الايجاز ــ أهم مقومات العمل الصحفي .. فأما ملاحقة الأحداث اليومية بالخبر والصورة فأعتقد أن جريدتين أو ثلاثا على الأكثر تعتبر كافية جدا لتحقيق هذا الغرض .

وأما الربط بين الأحداث وتحليلها وتوسيع امكانيات فهمها للقارىء فهو الأمر الذى نحن بأمس الحاجة إليه .. ومهما تعددت المجلات الأسبوعية التي تعنى بمثل ذلك فانها لن تكون كافية لتحقيق هذا الغرض الذي يتسع فيه مجال القول ، وتتعدد وجهات النظر .

ودليلنا على ذلك ــ إن كان لابد من دليل ــ هو هذا الاقبال الهائل على المجلات الأسبوعية التي ترد إلى بلادنا من الخارج .

ويقيني أنه لولا الفراغ الكبير الذي تعاني منه في مجال الصحافة الأسبوعية لما حظيت المجلات الواردة إلينا من الخارج بكل هذا الرواج الذي تحظى به !!

وإنني ــ رغم كل ما قلته ــ أعرف تماما سبب عزوف مؤسساتنا الصحفية عن اصدار المجلات الأسبوعية .. وهو سبب قديم جدا لم يعد قائما الآن !

كانت الامكانيات الطباعية والفنية وكذلك الامكانيات المالية لمؤسساتنا تحول دون إصدار المجلات الأسبوعية التى يمكنها الصمود والمنافسة .. وقد تعرضت مؤسسة اليمامة ، ومؤسسة البلاد أيضا لتجارب مريرةقاسية حتى استطاعت أن تصدر كلا من (اليمامة) و (اقرأ) وأن تصل بهما إلى مستواهما الحالي .

أما الامكانيات الطباعية والفنية فقد توفرت لدينا الآن بمستوى طيب .. وأما الامكانيات المالية لمؤسساتنا فهاهنا (مربط الفرس) !

ولذلك حديث آخر !!

١٤٠٢/١١/٢٨ هـ

أدبنا .. لا تنقصه الزراية !

كتب أحد الأدباء العرب مقالا يشير فيه إلى أنه بصدد كتابة دراسة موسعة عن الرواية والقصة في الأدب السعودي .. ثم أورد كشفا (بيلوجرافيا) بالأعمال الأدبية السعودية التي قال أنه حصل عليها ..

قرأت الكشف (البيلوجرافي) فكدت أصرخ علم الله !

يا إلهي .. لو أن هذا الأديب الكريم قد كلف أو طلب من أحد الأدباء السعوديين أن يكتب له كشفا بأسخف وأتفه الأعمال الأدبية السعودية لما استطاع أن يأتي بأسخف مما في ذلك الكشف الذى أورده الأديب الكريم !!

ولست أدرى كيف أمكن لحماقة الصدف أن لا تضع بين يدي الأديب العربي سوى أسخف وأتفه الروايات والقصص السعودية ؟

حقيقة أن الأدب السعودى يعاني من تخلف كبير في هذا المجال بالذات .. ولكن هناك بعض الأعمال وبعض المحاولات تستحق الاعتزاز بها .. وتستحق من ثم العناية والدراسة والتنويه .. ولكن أيا من هذه الأعمال لم يرد في ذلك الكشف (البيلوجرافي) الذى ذكره الكاتب الكريم .

وهذا في حد ذاته يؤكد إلى أي حد نحن مقصرون في تصدير أدبنا وفي التعريف به وتقديمه ونشره على أوسع نطاق ممكن في عالمنا العربي على الأقل .

كما أن هذا الأمر يؤكد لنا أيضا مدى جهل إخواننا الأدباء في الأقطار العربية بأدبنا وآثارنا الأدبية .

ولست أدري على من تقع المسئولية .. ولكنني أدري شيئا واحدا .. وهو أنه لا ينقص أدبنا التشويه والزراية به .. ولاشك أن أية دراسة أدبية يكون قوامها

مثل ذلك الكشف (البيلوجرافي) الذى أورده الكاتب الكريم .. لاشك أن مثل هذه الدراسة ستكون في منتهى الزراية بأدبنا !!

وياليتها زراية مقصودة .. إذن لقلنا أنها كانت حاقدة موتورة .. ولكن كاتبنا الكريم ليس حاقدا ولا موتورا .. بل هو واضح الاخلاص بدليل نشره لذلك الكشف بالأعمال الأدبية التي توفرت لديه فى مجال الدراسة التى يزمع القيام بها !

كم أتمنى أن أعرف عنوان ذلك الكاتب الكريم .. فأبعث إليه برجاء أن يحرق كل ما توفر لديه مما أورده في ذلك الكشف المشؤوم على أن أتبرع باهدائه من مكتبتي الخاصة بعض النماذج الأدبية المعقولة ، والتي يمكن أن تكون جديرة بعنايته ودراسته .. وهذه غيرة فردية من شخصي الضعيف .. وإلا فأين هي جمعية الثقافة والفنون ؟ وأين هي أنديتنا الأدبية ؟!

٢٩/١١/١٤٠٢ هـ

تدهور الحضارة الغربية

الحضارة الغربية الحديثة غنية في كل شيء تقريبا .. فقيرة إلى القيم والأخلاق .. فقط لاغير !!

وناهيك بحضارة لا يكون أهم ما تفتقر إليه غير القيم والأخلاق .. وأن يكون هذا الذي تفتقر إليه هو آخر ما تفكر فيه .. بل أن يكون هذا الذي تفتقر إليه هو من أهم الأنقاض التي قامت عليها هذه الحضارة !!

وتلك ناحية أشار إليها عدد من المؤرخين والمفكرين ليس أبعدهم عن ذهن أي مثقف « اشبنجلر » في كتابه الشهير « تدهور الحضارة الغربية » بأجزائه الثلاثة الضخمة ..

ولكننا لسنا هنا في مجال الاستشهاد .. ولا نحن بصدد كتابة دراسة تحتاج إلى النصوص والشواهد .. وإنما نحن بصدد الاشارة ــ مجرد الاشارة ــ إلى ناحية واحدة من نواحي هذا الفقر الأخلاقي في الحضارة الغربية .. وهي ناحية الفقر الأخلاقي في التحركات السياسية الغربية .. وبخاصة تجاه الشرق الأوسط وبعض الشعوب الأخرى !!

لو كانت هناك ذرة خلق واحدة في اتجاهات السياسة الحضارية الغربية لما صح أن يحدث ما حدث في لبنان على سبيل المثال !!

إن انعدام القيم والأخلاق من قاموس الحضارة الغربية ــ منذ ميكافيلى إلى الآن ــ هو الذى سمح بكل الأعمال الوحشية وغير الأخلاقية التى حدثت منذ قيام الحضارة الغربية إلى الآن !

إن التنبؤ بتدهور هذه الحضارة ، لو لم يقم إلا على هذه الحقيقة وحدها .. لكفاه أن يكون نبوءة واضحة الرؤيا ، سليمة الادراك والفهم لمسار الحضارات في التاريخ !!

ومن عجب أن تصمّ الحضارة الغربية آذانها ليس عن صرخات المفكرين فى شتى أنحاء العالم .. بل عن صرخات المفكرين البارزين من أبنائها بالذات !

إنها حضارة صمّاء .. وبخاصة عن النداءات والصرخات الأخلاقية .. أما في غير ذلك فهي تسمع دبيب النمل !!

ولكن صممها غير الأخلاقى هذا .. هو بداية النهاية لها .. حيث لابد أن يأتي اليوم الذى ينقلب فيه السحر على الساحر .. وتجد الحضارة الغربية نفسها أسيرة لمبادئها غير الأخلاقية !!

وهو يوم .. لاشك آت ، طال الزمن أو قصر .. فان السنوات في عمر الشعوب والحضارات ليست بالشيء الكثير .

سيأتي اليوم الذي تنفجر فيه القنبلة في أصحابها .. وحينئذ لن ينفع الندم .. بل سيكون الندم ذاته قنبلة حارقة !!

وكل المؤشرات تؤكد أن الحضارة الغربية قد فقدت صوابها .. وأنها تتخبط حتى في النواحى الاقتصادية التي شد ما ركزت عليها .. وشد ما جلبت الدمار على شعوب العالم بسببها !!

١٤٠٢/١٢/١ هـ

التعليم القليل خطر !

كنت ــ قبل أيام ــ أشارك أحد أقاربي جلسة عائلية ممتعة .. وقريبي هذا شاب في مقتبل العمر ..يعمل في مرفق حكومي .. يستخدم أجهزة (تكنولوجية) متقدمة .. منها (الكمبيوتر) مثلا !!

أما زوجته فهي حليسة بيتها وأولادها .. لم تأخذ غير نصيب يسير من العلم .. ثم تزوجت وأنجبت واستمرت في الانجاب بحيث صار لديها ما يكفيها من المشاغل والمشاكل والهموم المنزلية .

ويبدو أن زوجها كثيرا ما يحدثها في جلساتهم العائلية . ويذكر لها أشياء كثيرة ، لا تفهمها .. ومن ثم لا يمكن أن تستمتع بأحاديث زوجها .. بل تشعر معها ، وكأنه يهينها .. كأنه يفخر عليها بمعلوماته « التكنولوجية » ويزدري جهلها بمعلوماته المتقدمة !!

والحقيقة أن الزوج الكريم لا يملك من هذه المعلومات المتقدمة إلا النزر اليسير .. ولكنه النزر الذى يكفي لاغاظة زوجته !!

وهكذا .. ما أن بدأنا جلستنا العائلية تلك .. وبدأنا الحديث حتى طفق صاحبنا يتحدث عن (الكمبيوتر) !!

ولكن سرعان ما قاطعته زوجته .. وهي توجه حديثها لي بالذات .. قائلة :

هيا بالله ــ يا عم علي ــ اسمع زوجى .. يقول دائما أن (الكمبرتر) ــ هكذا نطقتها ــ يقوم بعمليات حسابية لا يستطيع الانسان أن يقوم بها .. وأنه يحفظ معلومات كثيرة جدا لا يستطيع أي إنسان حفظها ..

وأنه .. وأنه .. لقد أصبت بصداع مزمن بسبب ما أسمعه من زوجي عن هذا (الكمبرتر) وغيره من الأشياء التى يرددها على مسمعي .

وضحكت كثيرا لهذه المفارقة بين زوجة جاهلة وبين زوج (ربع متعلم) !!

وتذكرت مثلا انجليزيا .. كنت قرأت ترجمته .. يقول : (التعليم القليل خطر) !

ولم أكن قد أدركت معنى هذا المثل بالدقة التي أدركتها به ، وأنا أستمع إلى هذا الحديث .

إن الزوج لو كان عالما حقا بالتكنولوجيا التي يتحدث عنها لأدرك — بالضرورة — أنه لا ينبغي له الحديث عن ذلك إلى زوجته المسكينة التى لا تعرف شيئا عن ذلك .

لو كان عالما حقا .. لقدر وضع زوجته .. ولما حدثها عن غير شئون البيت والأولاد وغلاء الأسعار وما شابه ذلك مما يثير اهتمامها ويتقارب مع وعيها !!

وأنا ما كنت لأذكر هنا كل ذلك لو لم يكن هذا الحديث وأمثاله شبه ظاهرة في مجتمعنا حيث يجد بعض الناس الكثير من الجرأة على الحديث في شئون لا ناقة لهم فيها ولا جمل .

وإنما هي شهوة الحديث .. وحب التظاهر بالعلم !

١٤٠٢/١٢/٢ هـ

العاطفة أصبحت شتيمة !

كثيرا ما أتبادل المزاح إلى حد الشتائم الخفيفة والثقيلة أيضا مع خاصة أصدقائي .. وأتقبل ذلك منهم برحابة صدر وضحكات عالية .. ويتقبل مني الأصدقاء بكل رحابة صدر وبضحكات عالية أيضا شتائمي ودعاباتي .. بل إننا — أصدقائي .. وأنا — نعتبر هذا النوع من تبادل الدعابات والشتائم من أهم أواصر الصلة والمحبة فيما بيننا !!

ولكن .. مساء أمس كنت في نقاش جاد مع أحد الأصدقاء .. وكان لي رأي في موضوع النقاش يختلف مع رأي صديقي .. ويبدو أن معلوماتي المتواضعة قد أسعفتني — في الوقت المناسب — بحجج وبراهين تؤيد ما ذهبت إليه من آراء في موضوع النقاش مما أفحم صديقي ، وضيق عليه الخناق .

وإذا به — فجأة — يقول لي :

أنت رجل عاطفي .. لا تصلح لشيء !!

وكنت أعرف أنه يقصد الشتيمة .. فضحكت .. ولكن بعد أن ذهب لشأنه استعدت في ذهني — مرة أخرى — عبارته (أنت رجل عاطفي) التى اعتبرها .. أو قالها ، وهو يقصد بها الشتيمة .. قلت في نفسي :

يا للعجب .. لطالما سمعت هذه العبارة تتردد على ألسنة الناس .. وهم يقصدون بها ما قصده صديقي .

ترى منذ متى .. بل من أين جاء لنا هذا الاعتبار الزري لصفة (العاطفة) التي هى أنبل ما في الانسان .

لست أشك أن ذلك قد جاءنا من الغرب حتما .. فهم هناك قد فقدوا الشيء الكثير من عواطفهم الانسانية .. بعد أن سحقتهم الحياة المادية سحقا ماحقا .. بحيث أصبح الانسان عندهم مجرد (ترس) في آلة هائلة .. وأنى لمثل هذا (الترس) أن تكون لعاطفته أي دخل في عمله .. أو في أي شأن من شؤونه ؟!

ومن هنا أصبحوا ينظرون إلى أي إنسان مازال يتمتع بأدنى نوع من أنواع العاطفة على أنه لابد أن يكون فاشلا لأنه لا مجال للعواطف في تروس الآلات .. وإلا كفت عن دورانها .!!

وهذه نتيجة حتمية لأي مجتمع صناعي .. كما هو الشأن في الغرب !

ولكننا هنا — حتى لو أصبحنا مجتمعا صناعيا — لا يمكن لنا أن نكون مثلهم في القدرة على التخلي عن عواطفنا ؟!

ذلك أن قيمنا ومثلنا وتراثنا وديننا .. جميعها تأبى إلا أن يسود بيننا التراحم والتواد والعاطفة .. ولذلك كانت دهشتي أن تصبح — عندنا بالذات — صفة العاطفة شتيمة !!

ولكن تذكرت أن صديقى الذي شتمني بهذه الصفة .. قد عاش طويلا في الغرب حيث تلقى تعليمه هناك .. فهذا بعض نضحه ليس إلا !!

٣/١٢/١٤٠٢ هـ

ذكريات صحفية !

ذكرني (جهاد الخازن) بما كتبه قبل أيام عن دولة رئيس وزراء الأردن السيد (زيد الرفاعي) حين طلب منه ومن زميل آخر له أن يساعداه في مؤتمر صحفي كان يزمع عقده بحيث يسألا أسئلة في موضوعات معينة يريد الحديث عنها في مؤتمره الصحفي الذي سيحضره الكثير من المراسلين ومندوبي الصحف الأجنبية .. وكيف أن جهاد الخازن قد وعد بذلك .. ولكنه نسي وعده في المؤتمر ، وسأل أسئلة أخرى من (كعب الدست) إلى آخر ما رواه .

ذكرتنى هذه الحكاية بالذات بحكاية مماثلة ، كنت أحد أبطالها .. وقد حدثت منذ عدة سنوات حين كنت أعمل بالصحافة .

لقد أراد أحد وزرائنا الكرام عقد مؤتمر صحفي ليشرح فيه جانبا مهمّا بالفعل من جوانب مسئوليات وزارته .

وعند حضورنا للفندق الذي سيعقد به المؤتمر .. فوجئت بأحد المسئولين يطلبني بالذات مع اثنين من زملائي .. وحين اجتمعنا به فى غرفة جانبية بجوار الصالة التي سيعقد فيها المؤتمر ، فوجئنا به يوزع علينا أسئلة مطبوعة .. يطلب منا أن نسألها أثناء المؤتمر لأن معالي الوزير يريد الحديث في موضوعات هذه الأسئلة بالذات .

وكانت الطريقة التى وزع بها الأسئلة .. ثم طريقة طلبه منا ، لم تكن تخلو مما يمكن أن يعتبر استهتارا بنا .. بل وإهانة لنا نحن الثلاثة .. وشعرت بحراجة الموقف عندما لاحظت أحد زملائي .. وقد تقلص وجهه ، وهو يهم بالكلام وبإعادة الورقة التي في يده .. وكنت أعرف يقينا أن ذلك المسئول لم يقصد

إحراجنا أو إهانتنا .. بل إنه — على العكس — اعتبر اختياره لنا بالذات لهذه المهمة نوعا من تكريمنا .. فبادرت لانقاذ الموقف قائلا لذلك المسئول :

إنني شخصيا سأتولى وحدي القيام بهذه المهمة وتناولت من زميلي (الهائج) الورقة التى كان يوشك أن يقذف بها في وجه ذلك المسئول .. وقام زميلي الثانى تلقائيا بمناولتي الورقة التي في يده .. ثم عدنا إلى صالة الاجتماع .

وعند بدء المؤتمر لاحظت أنه لا يوجد أيّ صحفي غير سعودي .. وبدأت الأسئلة تنهال على معالي الوزير .. وكنت شخصيا أكثر السائلين .. ولكن لم أسأل سؤالا واحدا من تلك الأسئلة المطبوعة إياها .

وعندما أوشك المؤتمر على الانتهاء فوجئت بذلك المسؤول يقترب مني .. كأنما يذكرني !!

وفجأة طلبت الدور في السؤال .. ثم قلت لمعالي الوزير إن (فلانا) قد أعطانى أسئلة مطبوعة ، وهي أسئلة جيدة بالفعل .. ولكن لا أرى وقت معاليكم يتسع لها فها هي — يامعالى الوزير — ويمكنكم الاجابة عليها في مكتبكم بهدوء !!

وضجت القاعة بالضحك .. وكان أول الضاحكين هو معالي الوزير نفسه !!

١٤٠٢/١٢/٤ هـ

أدبنا العربي .. الى أين ؟!

« إن جيل اليوم الأدبي لا يعرف طريقه ، والذين يعرفون الطريق ، ويمكنهم أن يدلو عليه .. لا يجرؤون على الاشارة بأصابعهم .. لأنهم أصبحوا أضيع من الأيتام على موائد اللئام .. فهم قلة لا يأبه لها جيل الأدب الحاضر . هذا الجيل الذي تنكر لكل جيل سبقه بسبب الفساد الذي أصابه على أيدي الانقلابات العسكرية وبسببها ، وراح يؤرخ بدء الخليقة من عند نفسه .. وصنعت له الانقلابات العسكرية ، والعقائد السياسية مفاهيمه الأدبية ، وخلقت له (كليشهات) يرددها ويتعصب لها ، وهو في كثير من الأحيان لا يفهمهما .. وحين يموت .. تكون هي قد ماتت قبله » .

لقد نقلت النص السابق — رغم طوله — من مقال رائع كتبه الدكتور « عيسى الناعورى » في جريدة الشرق الأوسط ونشر بتاريخ ١٤٠٢/١٢/٣ هـ .

نقلت هذا النص فحسب .. وكان بودي أن أنقل المقال بأكمله لا لشيء إلا لأن الدكتور الناعوري قد وضع أصبعه على مكمن الداء في أدبنا العربي الحديث .

على أني أود أن أضيف إلى ما قاله « الناعوري » أن عملية (غسل الدماغ) التى تعرض لها الكثير من أدباء جيلنا باسم العقائد السياسية المختلفة المذاهب والمشارب في أرجاء وطننا العربي والاسلامي .. قد تمخضت هي أيضا عن صراع حاد بين الأمر الواقع وبين البريق الخادع لتلك الشعارات العقائدية السياسية .

إن غزو اسرائيل للبنان — على سبيل المثال — قد أسقط الكثير من الأقنعة ، ومسح البريق عن كثير من الشعارات .. وأظهرها على حقيقتها الفارغة الخاوية .

ولاشك أننا سنشهد في الحقبة القادمة « عملية قيصرية » لأدب جديد ممزق تائه .. لا يعرف طريقه .. ولا يجد من يدله على الطريق .

اللهم إلا أن الأيام .. ستكشف أكثر فأكثر مدى الخداع والزيف الذي كان يعيشه أدباء جيلنا في شتى أرجاء الوطن العربي والاسلامي .

ولربما إذا تكشفت الحقائق عارية .. تكون الصدمة قاسية جدا — كما يلوح ذلك منذ الآن — ولابد أن تعقب الصدمة القاسية (افاقة) قاسية أيضا .. ولكن بقدر ما تكون قسوة (الافاقة) أتوقع أن تكون صحوة الأدب والأدباء !!

إنها (الصحوة) التي لابد منها .. وهي آتية لا محالة !!

إن في تاريخنا القديم والحديث نظائر وأشباه لما يحدث على ساحتنا الأدبية في عصرنا هذا .. وإن كانت أحداث التاريخ كثيرا ما تختلف باختلاف عصورها .. ولكن الأسباب متقاربة .. وكذلك النتائج .. فلا تهنوا .. ولا تحزنوا ؟!

٨/١٢/١٤٠٢ هـ

هل هـــذا معقول ؟

من أقوال العرب ما معناه :

ليس مدحا أن يقال أن السيف أمضى من العصا !!

أما اليوم فقد انقلبت الآية .. فأصبح من المديح أن يقال .. أن العصا أمضى من السيف !!

هل هذا معقول ؟!

ولكنني قرأت في إحدي الصحف مقارنة غاشمة بين أديب كبير .. وبين شاب لم يدع هو نفسه فى يوم من الأيام أنه في عداد الأدباء .. لم يزعم ذلك لنفسه .. ولم يزعمه له من قبل أي إنسان !!

ورغم ذلك كله لم تتورع تلك الصحيفة عن نشر تلك المقارنة الظالمة الآثمة بين الأديب الكبير اللامع .. وبين ذلك الشاب المغمور !!

وياليتها كانت مقارنة فحسب إذن لهان الأمر بعض الشيء .. ولكنها ـــ أي تلك المقارنة ـــ انتهت بتفضيل الشاب المغمور على الأديب الكبير اللامع ؟!

ولا أملك إلا أن أقول مرة أخرى :

هل هذا معقول ؟!

ذلك الذى أجاز تلك المقارنة الظالمة الغاشمة ، سواء كان رئيس تحرير الصحيفة أو أحد أعوانه .: ألم يخطر في باله أن نشر مثل هذه المقارنة (غير

المعقولة) من شأنه الاخلال بالموازين .. فضلا عن الاجحاف الواضح الفاضح بحق الأديب الكبير .. بل بحق الشاب المغمور نفسه ؟!

إن ذلك الشاب لابد أن يصبح — شاء أم أبى — موضع هزء وسخرية من كل من يعرفه .. ويعرف مكانة ذلك الأديب الكبير .. أي أنها إساءة مزدوجة للأديب الكبير من جهة ، ولذلك الشاب المغمور من جهة أخرى !!

إن الذي أعرفه هو أن للنشر أو لحرية النشر حدا أدنى من المقاييس أو الموازين .. ومهما تدنى هذا الحد الأدنى فانه لا يمكن أن يسمح بنشر مثل تلك المقارنة الغريبة العجيبة .. اللهم إلا إذا كان الشخص الذي أجاز النشر أراد أن يقول لنا — بصورة غير مباشرة — إننا في زمن العجائب والغرائب .. وأن هذه واحدة من تلك !!

أما كاتب المقارنة إياها فهو من المطمورين .. وليس من المغمورين فحسب .. ولذلك لم أستغرب أن يصل به جهله .. أو (غرضه) إلى ذلك الحد .. وإنما استغربت حقا أن ينشر له ذلك الهراء الغث في صحيفة تزعم لنفسها المزاعم !!

وبقيت ملاحظة أخيرة .. لابد من ذكرها .. وهي أن تلك المقارنة لم تكن باسم النقد الأدبي مثلا .. وإنما كانت هكذا (من الباب للطاقة) وبدون أية مناسبة .

للمرة الأخيرة : هل هذا معقول ؟!

١٤٠٢/١٢/٩

تناقضات فنية !

انتهيت الآن من قراءة عمل أدبي .. سبق أن شاهدته أيضا على الشاشة الصغيرة (التليفزيون) .

لم تدهشني المفارقة الكبيرة جدا بين النص الأصلي المكتوب المطبوع .. وبين النص الذي شاهدته في التمثيلية المتلفزة .. فمثل هذا الفارق بين النص الأصلي .. وبين النص التمثيلي من الفوارق المبررة من حيث كون العمل الفني التمثيلي يتطلب بعض اللمسات والاضافات التي تخرج بالنص عن أصله .

فهمنا ياسيدى !!

ولكن الاختلاف هنا أكبر بكثير جدا مما يحتمله التبرير الفني .. وفضلا عن ذلك فان الاختلاف يكون عادة في غير صالح النص الأصلي .. أما الاختلاف هنا فهو لصالح النص الأصلي .. بمعنى أن النص في قالبه الفني كان أفضل بكثير من النص الذى انتهيت الآن من قراءته !!

وهذه احدى المفارقات .

أما المفارقة الثانية فهي في أسلوب الحوار الذى انتهجه صاحب هذا العمل الأدبي (تسميته كذلك من باب التجاوز) !!

ليس هو بالحوار .. لأن ما بين الفقرة والأخرى من الكلام .. ما هو أطول من ليل امرىء القيس .. وليس هو بالسرد المعتاد في الرواية أو القصة بدليل وجود أبطال يتحاورون بالفعل .. ولا يعبرون عن وجهات نظرهم ضمنا .. وإنما بطريقة الحوار المباشر ..

وكل ما هنالك أنه ليس الحوار الذى يصلح للتمثيل في مسرحية أو مسلسلة (تليفزيونية) .. وإنما هو من ذلك النوع من الحوار الذى يجري ف (القهاوي) أكثر منه فى أي مكان آخر !!

إنه الافلاس .. علم الله !!

١٤٠٢/١٢/١٣ هـ

أين هو الاعلام العربي ؟

ما أكثر ما يدور من كلام لا أول له ولا آخر عن ضعف الاعلام العربي .. وما أكثر المؤتمرات والندوات والمقترحات التي تدور حول كيفية إيجاد اعلام عربي على مستوى الأحداث التي تعيشها الأمة العربية .

وما أكثر الأقلام التي تناولت الاعلام العربي .. وكيف يجب أن يكون إلى آخره .. إلى آخره !!

إنهم جميعا يتحدثون عن (الاعلام العربي) وكأنه من الكيانات القائمة بالفعل !!

أما العبد الفقير إلى الله تعالى ، كاتب هذه السطور .. فهو يعتقد بعدم وجود (اعلام عربي) أصلا !!

أراكم .. وقد فغرت أفواهكم ، وارتفعت حواجبكم من الدهشة والاستغراب .. وربما صرخ أحدكم قائلا :

أجل .. ماذا تريدنا أن نسمي كل هذه الوسائل الاعلامية القائمة في أرجاء الوطن العربي من اذاعة ، وتليفزيون .. ثم هذه الأكداس من الصحف والمجلات العربية .. ماذا تريدنا أن نسمي كل ذلك .. أيها الكاتب الهمام !!

ولكني — ياسادتى — لا أجهل كل ذلك .. وأنتم أيضا بطبيعة الحال .. لا تجهلون أيضا أن أهم ركيزة للاعلام ، هي المعلومات .. فاذا كان اعلامنا العربي يستقي معظم وأهم معلوماته من مصادر أجنبية (وكالات أنباء وغيرها) فكيف يكون اعلاما عربيا ؟!(١)

---

(١) راجع كلمة سابقة بهذا الصدد وهى بعموان (صحافة المكاتب) .

إن الكثير من الأخبار العربية والمعلومات العربية أيضا .. تستقيها وسائل اعلامنا من مصادر أجنبية لا تخلو من أهواء وأغراض .. بل وأحقاد !!

أحداث لبنان ــ مثلا ــ تأتينا أخبارها من واشنطن ولندن وباريس وحتى تل أبيب !!

لقد وجدت حقا بعض وكالات الأنباء العربية .. ولكنها من الهزال والكساح بحيث لا تستطيع تغطية الأحداث .. ولا توفير المعلومات .. إنها ربما لا تملك معلومات عن التاريخ الذي أسست فيه !

وقيل لنا في الآونة الأخيرة أن هناك بنكا للمعلومات تحت التأسيس في بغداد .

أرأيتم أن أول بنك للمعلومات في العالم العربي .. مايزال تحت التأسيس .. ومع ذلك نتحدث عن (اعلام عربي) !! وكيف يجب أن يكون ؟!

لشد ما أشفق على المسؤولين عن الاعلام العربي .. وهم يتلقون ذلك الفيض الزاخر من الأنباء والمعلومات ذات المصدر الأجنبي .. فلا يملكون تجاهها غير بعض النخل والغربلة .. ثم اذاعتها أو نشرها .. وليس في الامكان أبدع مما كان !!

وفروا المعلومات .. ثم تواجدوا بأنفسكم في مناطق الأحداث .. ثم تحدثوا ــ بعد ذلك ــ عن (الاعلام العربي) !!

١٤/١٢/١٤٠٢ هـ

يسيئون بقصد الإحسان !

منذ بدأت تهب علينا رياح الحضارة الغربية الحديثة ونحن بين شقي رحى .. أو بين فريقين من علمائنا وأدبائنا !!

فريق ينظر إلى كل حسنة من حسنات الحضارة الغربية .. ثم لا يرضى إلا أن ينسب أصلها إلى تراثنا العربي والاسلامي .. ويذهب ليعتسف بعض النصوص من تراثنا ليؤكد بها أنها أصل تلك الحسنة !!

وفريق آخر بهرته الحضارة الغربية فتنكّر تنكرا تاما لتراثه وقيمه وجذوره !!

ونحن ما بين هذين الفريقين .. لا نملك غير أن نرثي على الفريق الأول تعصبه المفرط .. ونحزن لتنكر الفريق الثانى وضياعه وتمزقه !!

ثم نلجأ إلى القناعة بالوسط فيما بين هذين الفريقين !

ولكن كيف يمكن لنا أن نهنأ بهذا الوسط الذي ارتضيناه لأنفسنا .. وكل فريق مازال ينعق بما لديه ، ويجد في وسائل الاذاعة والنشر ما يبيح له النعيق والزعيق .. ليقنعنا بهديه !!

فأما الفريق المنغمس في غربيته المتنكر لأصالته .. فهو أهون عندنا من (شن بدوية) !!

ولكن مصيبتنا حقا في الفريق الأول الذي يذهب به التعصب للتراث إلى حد الاساءة إليه ، دون قصد بالطبع .. وإنما هو الغلو الجاهل .

ومن ذلك — على سبيل المثال — ما قرأته مؤخرا فى مجلة (الفيصل) الغراء (عدد ٦٦) تحت عنوان (نشر منهج المحدثين في المنهج الأوروبي التاريخي الحديث) .

ولست بصدد ذكر تفاصيل ما جاء في هذا المقال .. فالعنوان وحده يكفى .. وزيادة !!

إنني شخصيا ممن درسوا (مصطلح الحديث) دراسة مستفيضة .. ثم إنني — في الوقت نفسه — ممن اطلعوا اطلاعا لا بأس به أو هو يكفي للالمام بالمنهج الأوروبي التاريخي الحديث .

ومن واقع تلك الدراسة ، وهذا الاطلاع أستطيع أن أؤكد أنه لا يوجد أي تشابه يوجب كتابة ذلك المقال .. بل إنني أعتقد أن مجرد المقارنة بين المنهجين .. إنما هي إساءة بالغة لمنهج المحدثين .. وذلك من حيث قصد كاتب المقال الاشادة بهذا المنهج عبر مقارنته بالمنهج الأوروبي !!

إن (منهج المحدثين) قد بلغ شأوا بعيدا جدا بحيث لا يمكن أن يلحق به أو يقترب منه (المنهج الأوروبي التاريخي) .

بل إن أي منهج تاريخي .. لا يمكن ، ولا يطلب منه لأن يتسع لكل تلك الدقة الهائلة في (منهج المحدثين) !

ذلك أن (منهج المحدثين) يحقق ويدقق ويضع أصولا وقواعد لأحاديث تروى عن رسول الله ﷺ .. فما يصح منها يصبح جزءا من شريعة .

أما المنهج الأوروبي التاريخي فانما يضع أصولا وقواعد لروايات وأساطير وأدب .. وكل همه أن تكون في نسق معقول !!

فأين هذا من ذاك ؟

١٤٠٢/١٢/١٥ هـ

أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

هنيئا مريئا لأخي وصديقي وزميلي الأستاذ (أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري) هذه الثقافة الراقية المتعددة الجوانب .. التي يتمتع بها ، والتي لا يملك أي أديب أو متأدب في بلادنا غير أن يشعر بالخجل من قصوره عن شأوها !!

لا أقول ذلك مجاملة لأخي الظاهري .. فهو في الحقيقة ظاهرة متميزة بالفعل .. ولكن — يبدو لي — أن تعدد جوانب ثقافته ، وعمقها ، واتساعها .. كل ذلك كان سببا فى عدم سيره على خط مستقيم !!

انني أقرأ له منذ نبغ فجأة نبوغا باهرا .. ومازلت أذكر — إلى الآن — أبحاثه ومقالاته العميقة التى كان ينشرها فى جريدة الندوة منذ سنوات .. لا أذكر مداها بالتحديد .

ولعل أبرز ما علق .. بل رسخ في ذهني بحثه المطول عن منهج (ديكارت) حيث بدأت علاقتي به — كقارىء — منذ ذلك الحين .. وإلى أن جمعتنا الظروف والمناسبات فأصبحنا أصدقاء .. ومأأشد اعتزازي بهذه الصداقة .

كان أسلوبه في تلك المقالات والأبحاث القديمة على غاية من الجدية والرصانة والعمق .

ثم فوجئت به — بعد ذلك — ينشر مقالات أو تهويمات عابثة أو لاهية أو نحو ذلك .. بل أصدر كتابا (بحاله) كانت مادته بأكملها من ذلك النوع

من العبث اللاهي ، وإن كان حتى فى عبثه ولهوه لم يكن يخلو أبدا من (اصالة) نادرة !!

وأذكر أنني كتبت كلمة أعبث فيها بعبثه[1] .. ولكني كنت على يقين بأنه قد تعمد ذلك العبث ، وقصده قصدا .. كأنما أراد أن يقول للقراء أو لبعضهم :

مادام لا يعجبكم أو لا تفهمون غير هذا العبث ونحوه فهاهو ذا بين أيديكم .. وليس غيري بأقدر مني عليه !!

ثم — بعد ذلك أيضا — ربما كان قد سئم الجد وسئم العبث أيضا فطلق (الصحافة) ثم راجعها .. ثم طلقها .. ثم راجعها وهكذا إلى ماشاء الله !!

ولعل آخر مراجعة له قد تمثلت في مقاله الرائع فى المجلة العربية — بعنوان (لا تنكحوا العقيمات .. فان أمكم منجاب) وهي مراجعة جميلة — رغم اعتقادي بعدم جوازها من الناحية الشرعية !

لقد وجدت في مقاله ذلك الكاتب القديم الذي عرفته ..والذي يبهرك بوفرة معلوماته .. وسعة أفقه ، وأصالة ثقافته ، ومتانة أسلوبه !!

أي صديقى العزيز :

أرجو أن تكون مراجعتك الأخيرة مراجعة موفقة مع ولود ودود .. وليست مع (لكاع) الخطيئة !!

ولك تحياتى وحبي .

---

(١) راجع كتابنا (على الماشى) .

بلبلة باسم الحداثة !

كان — في الزمن الغابر — كلام السحرة والمشعوذين والكهان غير مفهوم بأي حال من الأحوال لأن المطلوب منه أصلا أن يكون غير مفهوم إذ يعتمد في تأثيره على رنة السجعة ، وارتفاع أو انخفاض صوت الساحر أو المشعوذ مع ما يصاحب ذلك من حركات بهلوانية للزيادة في التأثير .. أما الكلام فلا معنى له ولا مضمون !!

وذلك هو نفسه بالضبط — ماعدا السجع — شأن بعض ما نقرأ هذه الأيام في بعض الصفحات الأدبية !!

تقرأ كلمات وعبارات وجملا مرصوفة .. فتريد أن تفهم مضمونها .. ولكنك لا تجد .. أو لا تفهم أي مضمون لها رغم أنها مكتوبة بحروف عربية !! وهذا هو العجب !

هل هي طلاسم .. تلك العبارات والجمل ؟! فلا يهم أن تكون مفهومة .. بل المهم هو تأثيرها .. وأي تأثير لها — ياترى — إذا لم تكن مفهومة ؟!

هل هي عودة إلى السحر والشعوذة ؟!

ولكن عمليات السحر والشعوذة ... كانت تتمتع — على الأقل — برنة السجع ، وارتفاع الصوت وانخفاضه .. ثم الحركات البهلوانية التي كان يقوم بها الساحر أو المشعوذ .. وفي ذلك بعض التسلية على أدنى تقدير !!

أما عمليات الطلاسم الجديدة .. فقد استبدلت السجع باختيار كلمات ذات رنين — وإن كان رنين طبل أجوف — واستبدلت الحركات البهلوانية القديمة

بحركات جديدة غاية في (الحداثة والمعاصرة) هي بهلوانية اللعب بالألفاظ .. واستخدامها في غير ما تعنيه دلالاتها لغة واصطلاحا !!

وأنا على يقين تام .. بأن الذين يتعاطون هذا النوع من الكتابة .. أو هذا النوع من العبث والتلاعب بالألفاظ .. هم أنفسهم لا يفهمون شيئا من ألاعيبهم .. ورغم ذلك يطلبون من الآخرين فهمها .. تماما كما كان أصحاب السحر والشعوذة ـــ في الزمن الغابر ـــ يرددون كلمات غير مفهومة لديهم أنفسهم .. ولكنهم كانوا ـــ وهذه شهادة لله ـــ أكثر تواضعا من أصحابنا هذه الأيام حيث لم يكن مهما لديهم أن يفهم غيرهم ما يقولون !!

ويؤسفنى أن مساحة هذه الزاوية لا تتسع لذكر أمثلة مما ذكرته أو أشرت إليه .. ولكني سأفرد مقالا بذاته لذكر بعض هذه الأمثلة .. وأتحدى ـــ منذ الآن ـــ أن يفهمها أصحابها أنفسهم .. أو أن يفهمها أي قارىء بأية لغة فى العالم .

إنها مجرد خواء وإفلاس . وتراكمات العقد النفسية الناشئة عن البلبلة والجهل والتمزق .. ليس إلا !

١٤٠٢/١٢/١٧ هـ

دكتوراه عن (الكبسة) !

اتصل بي أحد الأصدقاء .. يخبرني أن ولده العزيز قد اختار موضوعه للحصول على (الدكتوراه) تاريخ جزء عزيز من وطننا أهمله التاريخ .. أو كاد !!

وقال لي ذلك الصديق :

إنني أعلم أنك لا تخلو من معرفة عن بعض جوانب الموضوع الذي اختاره ولدي محوراً لرسالته .. وإنني أطلب منك عونه بما تستطيعه من مراجع أو معلومات أو نحو ذلك ..

وقال لي : إنه سيراجعك بنفسه .

وجاءني الابن العزيز بالفعل .. فرحبت وسهلت .. ثم دخلنا في صلب الموضوع ..

قلت له :

أبي بني .. لماذا اخترت هذا الموضوع الشائك بالذات ؟!

قال : لسبب قد لا تصدقه .. وهو لأنه أصعب الخيارات أمامي !!

قلت له : ولكن الذي أعرفه — ياولدي — أن الراغبين في الحصول على (الدكتوراه) يبحثون عن أسهل الموضوعات .. وليس عن أصعبها !!

لقد قرأت أن أحد إخواننا المصريين كانت رسالته للدكتوراه في أمريكا عن « الفول » .. فلماذا لا تختار موضوعك أنت عن (الكبسة) مثلا .. خاصة وأنك ستقدم رسالتك لجامعة أمريكية ؟!! ثق — ياولدى — أنهم سيعتبرون رسالتك عن (الكبسة) دلالة كبيرة على نبوغك !!

وضحك .. فضحكت معه !!

ثم علق قائلا :

انني أفهم سخريتك فأنا أقرأ لك من حين لآخر .. أنت تريد التعريض بالجامعات الأمريكية وما تمارسه من تشجيع لأبناء الدول النامية الذين يدرسون فيها على أن تكون موضوعاتهم للدكتوراه (أي كلام) .. فهم لا يسرهم أن يصيب أبناء الدول النامية بعض المعارف الصحيحة السليمة .. ولذلك يقبلون منهم أي موضوع سواء كان (الفول) أو (الكبسة) كما تقول :

هذا حق !!

ولكنني أنا شخصيا لا أريد (الدكتوراه) لمجرد الحصول على اللقب العلمي للارتزاق به أو نحو ذلك ..

انني أريد المعرفة حقا .. ولذلك اخترت موضوعي عن تاريخ جزء من بلادي ربما تكون رسالتي عنه بداية لكشف الكثير من الحقائق التاريخية المطموسة ... وبذلك أخدم بلادي .. وأحقق المعرفة لنفسي !!

قلت له : ولكن (الكبسة) ماذا عنها ؟

قال : ستجد من يختارها غيرى !!

ولم أملك إلا أن أدعو له بالتوفيق !!

١٤٠٢/١٢/٢٤ هـ

فهرس

الموضوع	الصفحة

الموضـوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



صدر للمؤلف

- حصـاد الكتب
- مناوشات أدبيـة
- أدب وأدبـاء
- سنابل الشـعر
- رسالة الجامعـة
- على المـاشي


مطابع سحر